كيف نتربى بسورة الفاتحة

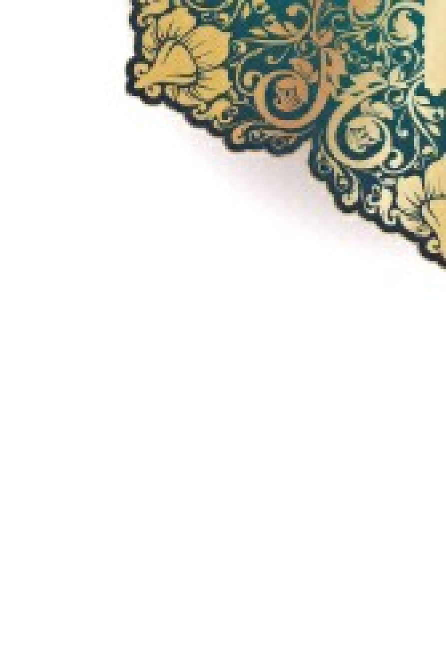
برنامج علمي إيماني تربوي لكل مسلم

أعدّه
عصام بن صالح العويد

تقديم والدة المؤلف
فاطمة بنت سليمان الهزاع



١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م




ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٧هـ

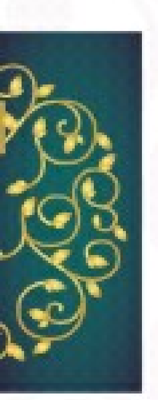
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العويد، عصام صالح
كيف نتربى بسورة الفاتحة. / عصام صالح العويد–ط٢ - الرياض ١٤٣٧هـ
٨٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ١-٣٨٢-٦-٥٠٦-٣-٦٠٣-٩٧٨
١-القرآن – مباحث عامة ٢-القرآن – سورة الفاتحة أ- العنوان

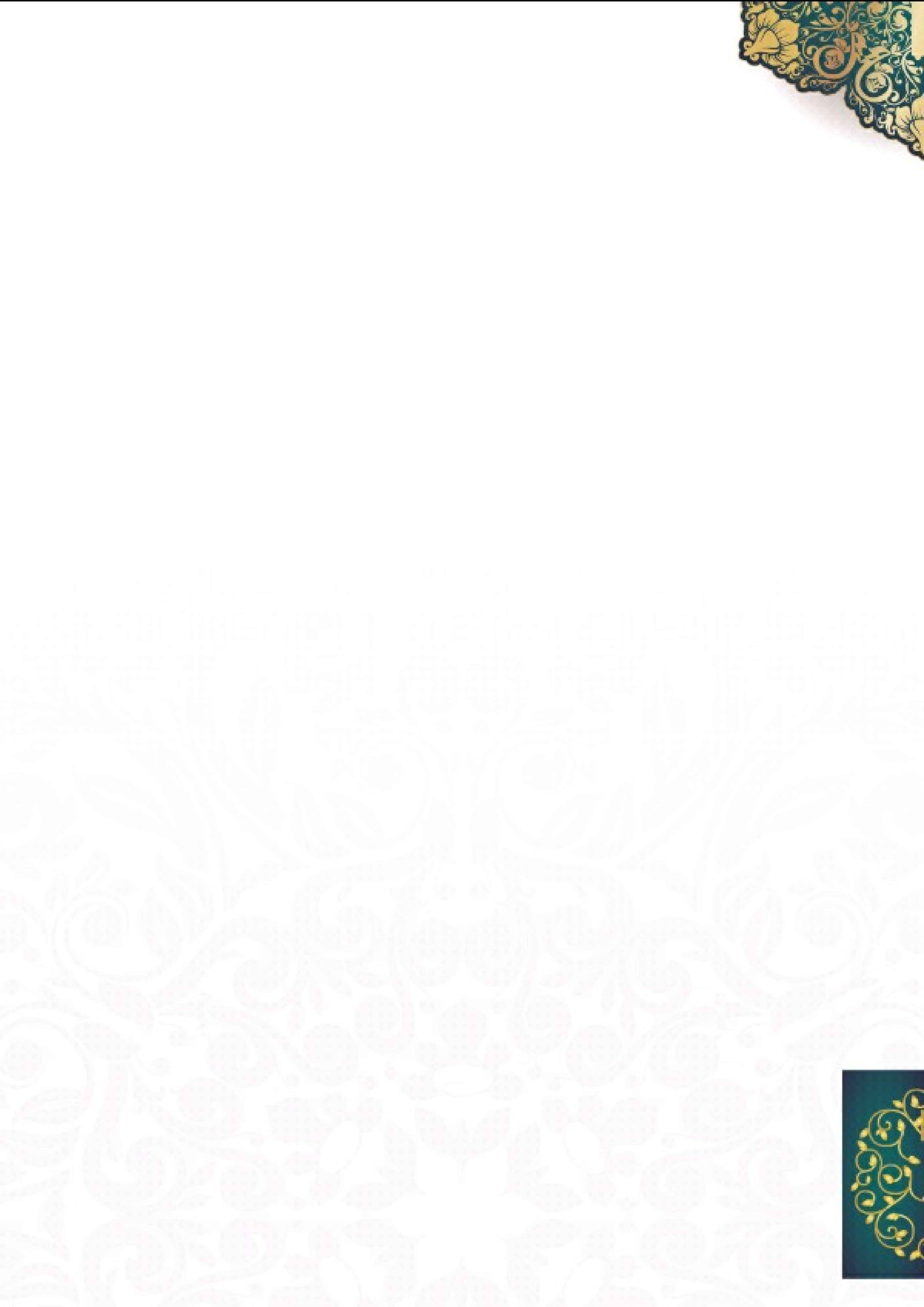
ديوي ٢٢٩ ١٤٣٧/٨٠٣٥

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٨٠٣٥
ردمك: ١-٣٨٢-٦-٥٠٦-٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هـاتف: ٢٤١٦١٣٩-٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحـد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨









الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وبعد:

قرّاء الكتاب الأكارم،،

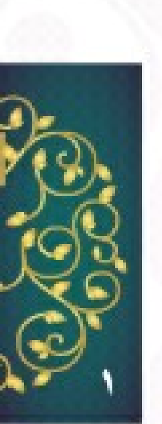
أقدم لكم جهود ثمرة فؤادي ابني عصام في وقفات إيمانيّة مع سورة الفاتحة، قام بها حينما لمس حاجة المسلمين كافة لفهم و تدبر هذه السورة العظيمة لأهميتها لصلاةِ وحياةِ كلّ مسلم.

اسأل الله أن يغرس في نفوسنا تعظيمها وأن ينور بها قلوبنا، وأن يجعلنا جميعا من أهلها وأهل شفاعتها، وأن يرزقني ووالدي وذريتي وأهلي وأقاربي والقارئين علمها وبركتها وهدايتها وعافيتها وشفاءها، وأن يردنا والمسلمين إليها ردا جميلا،،

كتبته /

فاطمة بنت سليمان الهزاع

التّميمية





شكرٌ خاص

لك الحمد ربي

لكما الشكر دِهاقاً أمي وأبي

لكِ سحائب ودي سلسبيلا أيا سكني

إليكم عصارة فؤادي أيْ بَنيّ

لكم يامشايخ وأساتذة

«مركز كوادر للتطوير»

وكل من ضرب في هذه بسهم

يارب.. اجعل لنا أمَّ القرآن

هادية وشافعة ونوراً وشفاء ورحمة





كيف نتربى بسورة الفاتحة ؟؟

الفاتحة هي سر القرآن، وسرها في الأوسط من آياتها.

وهي أم القرآن، فهي متنٌ وكل سور القرآن شرح لمتنها.

وهي السبع المثاني، فكل آي الكتاب تثنية لآياتها.

وهي فاتحة الكتاب والصلاة، وفاتحة الحُجب بين مُنزلها وقارئها.

وهي الصلاة، قسمها الله نصفين بينه وبين تاليها.

وهي الكافية، تكفي عما عداها ولا يكفي عنها غيرُها.

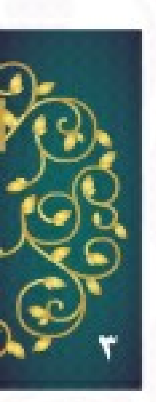
وهي الأساس، فلا قوام لبقية آي الكتاب إلا بها.

وهي الدعاء، فأعظم دعاء ما هدت إليه بمبناها ومعناها وسياقها.

وهي الشفاء، لا تغادر ظاهراً ولا خفياً من الأدواء إلا فلقته بدوائها.

وهي العلم، فكل جهالات الضالين والمغضوب عليهم ومن تبعهم؛ سببها إعراضهم عن نورها.

وهي الكنز، فهنيئاً لمن حلّى روحه وأخلاقه بنفائس علمها وجواهر أدبها وقلائد تربيتها،،





كيف نتربى بسورة الفاتحة؟

تعظيمها

مقصودها

تربوياتها

مفاتيحها

أحكامها

أساليبها

قياس أثرها





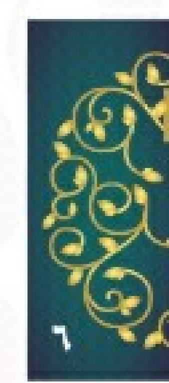
أخرج الثعلبي في «تفسيره» (٩١/١)، والبيهقي في «شعب الايمان» (٢١٥٥) كلاهما عن أبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، حدثنا محمد بن صالح بن هانئ، حدثنا الحسين بن الفضل، حدثنا عفان بن مسلم، عن الربيع بن صبيح، عن الحسن، قال: «أنزل الله عز وجل مائة وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة»..



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٣ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٤ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ٦ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ (١)

(١) هكذا عَدُّ آيات الفاتحة عند أئمة القراء من أهل المدينة والبصرة والشام بدون عدّ البسملة، وهو الأقوى كما سيأتي بيانه مختصراً بإذن الله، وللاستزادة ينظر «البيان في عد آي القرآن» لأبي عمرو الداني.





أسئلة جوهرية؟؟!

لماذا خبت وهجها في صدورنا مع أن نورها أعظم من نور الشمس؟

لم كانت أعظم سورة في الكتب المنزلة؟

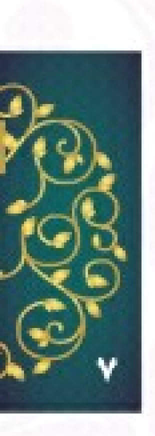
ما دلالة أسمائها على تعظيمها؟

كيف تكون كل علون القرآن فيها؟

نحن نمرض فلماذا لم تشفنا؟!

كيف نستشعر عظمتها؟

ما أسلوبها ومنهجها في العلم والتربية؟



بين يدي السورة:

هذا أيها المعلم الفاضل - يامن ثنيت ركبتيك في حلق تدريس القرآن وإقرائه - وقد بلّغك الله هذه المرتبة يأتي دورك بأن تجعل القرآن ربيعاً لقلبك متنقلاً بين آياته وعلومه وثقافاته، جاعلاً الفاتحة لك نبراساً في علمها ودعوتها وهديها وهداياتها وتربيتها وأدبها وشفائها.

أولاً: تعظيم سورة الفاتحة:

- **عظمتها في الكتاب وفي السنة وإجماع علماء الملّة:**

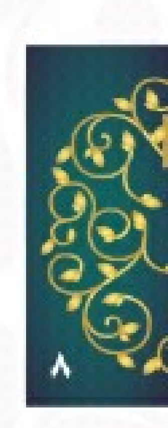
○ هي أفضل سورة في القرآن، بل هي أفضل ما انشقت عنه السماء، فعن أبي سَعيد بن المُعَلَّى رضي الله عنه: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ «ألاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ في القُرْآنِ ثم قَالَ «الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَاني وَالقُرْآنُ العَظِيمُ» رواه البخاري.وهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ (الحجر: ٨٧).

○ ولم ينزل في القرآن ولا في التَّوراة ولا في الإنجيل مثلُها، فقد أخرج التِّرمذيُّ وصححه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأُبيِّ بن كعب رضي الله عنه: «أتحبّ أن أعلّمك سورةً لم يُنزل في التَّوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزَّبور، ولا في الفرقانِ مثلُها ؟» قلت: نعم. فقال: «كيف تقرأ في الصَّلاة؟» فقرأتُ أمَّ القرآن، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيدِه ما أُنزل في التَّوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلُها».

وعن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما قال: «بَيْنَمَا جِبْرِيلُ؛ قَاعِدٌ عِنْدَ النبيِ ﷺ سَمِعَ نَقِيضاً[1] مِنْ فَوقِه، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إلاَّ اليَوْمَ، فنَزَلَ منهُ مَلكٌ، فقالَ: هذا مَلكٌ نَزَلَ إلى الأرض لم ينْزل قطّ إلاّ اليومَ فَسَلَّمَ وقال: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إلاَّ أُعْطِيتَه». رواه مسلم

○ أنها لبُّ الصلاة التي هي عمود الإسلام: فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن

(١) أي صوتاً كصوت الباب إذا فُتح.



رسولَ الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» أخرجه الستة.
والأحاديث في فضلها متواترة، وسيأتي مزيد في ثنايا البحث بمشيئة الله.

- **أول خطوات إصلاح حالنا مع أم الكتاب:**

- أن نستشعر عظمتها بقلوبنا وجوارحنا في الصلاة وخارج الصلاة.
- وهذا الشعور في القلب والجوارح له دلالات تدل عليه وجوداً أو عدماً.
- فهل أنت حين تهم بقراءة الفاتحة أو بسماعها تجد من قلبك تهيباً لها وتحفزاً استعداداً لسماعها وسماع حوارها بينك وبين مُنزلها؟
- وهل جوارحك في سكونها وقنوتها قد فرّقت بين حالين: حال ما قبل وبعد الفاتحة، وحال أثناء تلاوة الفاتحة ؟ والقرآن كله عظيم لكنّ فاتحة الكتاب أعظم هذا العظيم.

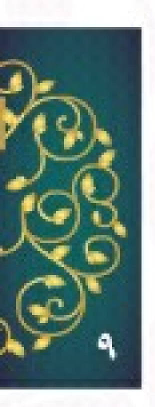
تطبيق تربوي

جرب هذا التدريب: قُم في حال فراغك - وأنسب ما يكون هذا لمن لايقوم الليل - ما بين صلاة المغرب والعشاء؛ فأحسن الوضوء ثم صلّ لله ركعتين نافلة، فإذا بدأت بتلاوة الفاتحة فاقرأها آية آية مستحضراً معنى كل آية:

الاستعاذة هروب من الشيطان إلى الرحمن.

البسملة استعانة باسم الإله الذي لو لم يُعنْك على طاعته هلكت.

وهكذا مع كل آية منها وتذكر أن الله قبَل وجهك وأنه يجيبك مع كل آية، فإذا لم تشعر بهذا المعنى فكرر الآية مراراً واستشعر ما سبق حتى تشعر بمعناها وعظمتها وعظمة من أنزلها، وتكرار الفاتحة من أجل هذا الغرض جائز ونص عليه شيخنا ابن عثيمين "فقال عن تكرار الفاتحة : وكذلك لو قرأها في غير استحضار وأراد أن يكررها ليحضر قلبه في القراءة التالية فإن هذا تكرار لشيء مقصود شرعا وهو حضور القلب" الشرح الممتع ٣/٣٢١



ـــ ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢ / ٨٧): عن محمد بن عوف الحمصي قال: قام الإمام العالم العابد أحمد بن أبي الحواري يصلي العتمة (العشاء)، ثم قام بعدها يصلي فاستفتح بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ حتى بلغ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، قال محمد: فطفت الحائط كله ثم رجعت فإذا هو لايجاوزها، ثم نمت ومررت في السحر وهو يقرأ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، فلم يزل يرددها إلى الصبح.

- **والمعيار هنا:**

١- هو استشعار قلبك حال التلاوة أو السماع أنه لم ينزل لا في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها.

٢- الحزن العميق ولوم النفس طويلاً إذا تُليت الفاتحة ولم تكن خاشعاً منصتاً لها مستحضراً عظمتها ومعانيها، ومعاهدة النفس أن تتوبَ من ذلك وتستغفرَ الله كثيراً بسببه، وتسأل الله عوناً منه على أن تعطي فاتحة الكتاب حقها.

- **موضع نزولها (ظرفها الزماني والمكاني):**

في أم القرى مكة المكرمة على الصحيح، نُقل ذلك عن عليٍّ وابن عبَّاس وأبي هريرة رضي الله عنهم، ويدل عليه أنَّ «سورة الحجْر» مكيَّةٌ بالاتفاق، وقد أُنزل فيها ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ وقد بيّنَ النبيُّ ﷺ أن المراد بها الفاتحة، فعُلم أنَّ نزولها متقدمٌ على نزول «الحجْر».

وقد عُدَّت في رواية جابر بن زيد السورة الخامسة في ترتيب نزول السور.[1]

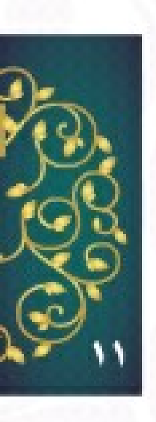
- **عدد آياتها:**

وهي سبعُ آيات كما دلَّ عليه قولُه تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ (الحجر: ٨٧) وفسرها النبي ﷺ بالفاتحة كما سبق، ونقل غيرُ واحدٍ الاتفاق على أنَّها سبعٌ منهم ابنُ جرير، وفيه خلاف شاذ.

---

(١) والأربعة السابقة هي: العلق والقلم والمدثر والمزمل.

تطبيقات عملية



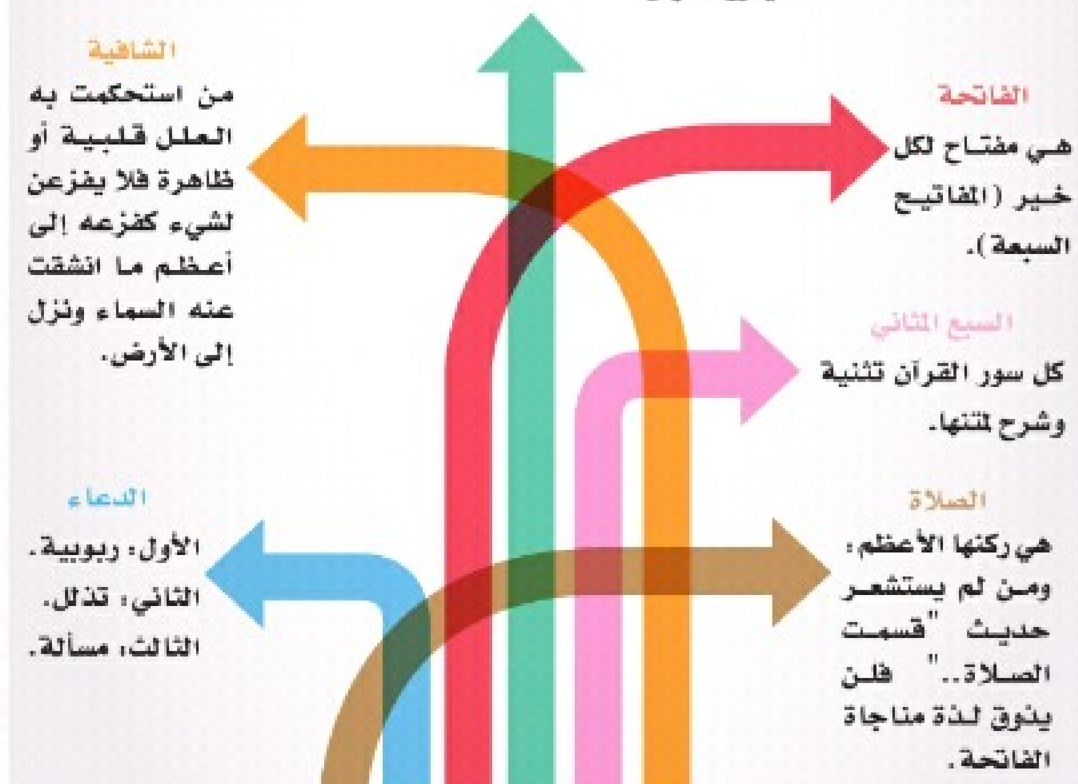


أسماء سورة الفاتحة

خطوة نحو التعظيم

أم الكتاب

كل علوم الكتب السماوية مجموعة فيها.
ابـن مسعود: من أراد علـم الأولين والآخرين فليثور القرآن.





○ جمع أسمائها ومعانيها:

أسماؤها كثيرة زادت على العشرين اسماً، منها: فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، وأم القرآن، وأم الكتاب، والصلاة، والشافية، والكافية، والوافية، وأساس القرآن، وغيرها.

○ لطائف تربوية من أسماء الفاتحة:

• اسم الفاتحة:

أي فاتحة الكتاب وفاتحة الصلاة وفاتحة الحُجب بين العبد ومولاه، فلا دخول لمعاني الكتاب إلا من باب فاتحته، ولا قنوت في صلاة العبد إلا بالاعتكاف في محرابها، ولا اقتراب من حضرة الرب إلا بالترقي على عتبات معارجها.

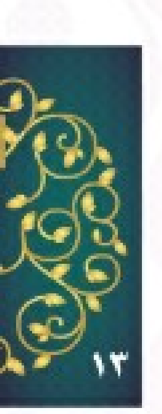
• اسم الصلاة:

فمن لم يقرأها بقلبه ولسانه أو لم يسمعها بقلبه وأذنه فقد أخل بركن من أركان صلاته، وتأمل هذا طويلاً رعاك الله.

قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا أردت أن تكلم الله فكبر، وإذا أردت أن يكلمك الله فاقرأ القرآن.

ففي الفاتحة لا بد من استشعار قارئها لمخاطبة الرب؛ فهذه هي حقيقة الصلاة. يوضح ذلك الحديث القدسي في صحيح مسلم من حديث أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه: أن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: قَالَ الله تَعَالَى: (قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قَالَ الله: أَثْنَى عَلَي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قَالَ الله: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ).

فاستشعر هذا الحوار من الله معك أيها القائم بين يدي ربك.





تطبيقات عملية

○ كيف جاء الترقي في سورة الفاتحة ؟

في الفاتحة الترقي[1] في الخطاب من البرهان إلى العيان، والانتقال من الغيبة إلى الشهود، وكأن المعلومَ صار عياناً، والمعقولَ مشاهداً، والغيبةَ حضوراً.

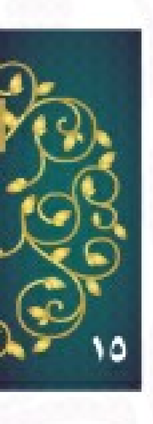
لوتأملت في أولها سترى أن الخطاب فيه خطاب غائب ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فلما زدت في ثنائك كأنه أذن لك فوصلت إلى حضرته سبحانه فأنت تراه وتخاطبه، ولهذا التفت من الغيبة إلى الخطاب فقلت: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ولم تقل: إياه، فلما أذن سبحانه لك وأقررت له بتمام العبودية له وحده وكمال الاستعانة به سبحانه؛ طمعت بالمزيد فسألت ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾، فتأمل هذا واستحضره في الصلاة، تجد في قلبك عجباً من تمام الهيبة والرغبة معاً.[2]

---

(١) وهذه طريقة القرآن في تربيته، وهي طريقة تعليم مثلى تستخدم التدرجَ مع المتربي للصعود به والانتقال من حال إلى حال أفضل منه، وبدون هذه السنة الكونية الشرعية وهي (التدرج) ينهد البنيان على بانيه.

(٢) يقول ابن كثير: وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب هو المناسب؛ لأنه لما أثنى على الله عزوجل فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى؛ فلهذا قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

ويقول ابن عاشور: وهاهنا التفات بديع؛ فإن الحامد لما حمد الله ـ ووصفه بعظيم الصفات بلغت به الفكرة منتهاها فتخيل نفسه في حضرة الربوبية فخاطب ربه الإقبال.





تطبيق تربوي

الصلاة صلة بين العبد وربه، وكلما سجد العبد لمولاه اقترب منه كما قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ١٩﴾ (العلق: ١٩)، والله قِبَل وجه العبد إذا قام يصلي.

وأنت تتقرب إلى الله في فاتحة الكتاب بثلاثة أمور:

إيمانك بربوبيته، وإقرارك بألوهيته، ثم دعاءه ومسألته.

فإذا كبرت في صلاتك فاستحضر هذا الانتقال من البُعد إلى القُرب ومن الغَيبة إلى الحضرة والمشاهدة كما سبق بيانه.

وأنت واقف في حضرة الربوبية ومشاهدة نِعم رب العالمين: قلت مُقراً له ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢﴾ ثم استحضر وترقب جوابه لك (حمدني عبدي).

فإذا قلت ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ فانتظر جواب الله لك (أثنى علي عبدي).

وإذا قلت ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤﴾فانتظر جواب المجيد لك (مجدني عبدي).

فكأنك فُتح لك الباب وارتقيت إلى حضرة الألوهية كما سبق في كلام ابن كثير وابن عاشور.

فإذا قلت ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ فانتظر جواب الله ووعده لك (هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ماسأل).

ولما أقررت بكمال العبودية له وحده وكمال الاستعانة به وحده سبحانه طمعت من الحميد الكريم بالمزيد فسألت ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦﴾ فكان جوابه لمسألتك (هذه لعبدي ولعبدي ما سأل).

....

....

....

....

....

....





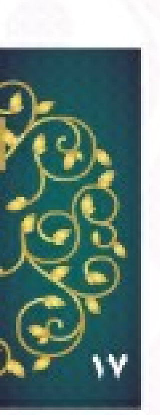
بيان ابن كثير
في الترقي الوارد في الفاتحة





يقول ابن كثير

وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب (إياك) هو المناسب؛ لأنه لما أثنى على الله فكان اقترب وحضر بين يدي الله تعالى.





تطبيق: تربية أنفسنا
على تغيير أحوالنا مع سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

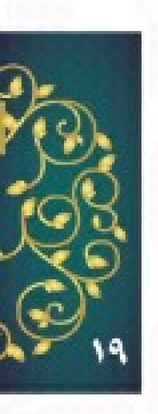
قلبك (تعظيم وهيبة)

نفسك (ترقّي في العبودية)

جوارحك (سكون وخضوع)



تطبيقات عملية





○ وسميت أم القرآن وأم الكتاب:

كما ثَبَتَ عِنْدَ التِّرمذِيِّ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ ﷺ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ).

فلزاماً على قارئها أن يستشعر أن كل علم نافع فأصله منها، وأن كل علم باطل فنفيه مستمد من براهينها، سواء علم تفصيل ذلك أو جهله، فإيقانه بهذه الحقيقة يجعله طالباً لها متطلعاً لنوالها طيلة ترداده لها في سني حياته[1].

فهذه السورة جمعت معاني القرآن العظيم كله فكل سور القرآن شرح لها وتفصيل لمجملها فحري بها أن تكون أم القرآن.

(١) يقول الإمام ابن القيم / عن الفاتحة: «وتالله لا تجدُ مقالةً فاسدة، ولا بدعةً باطلة إلا وفاتحةُ الكتابِ متضمِّنة لردها وإبطالها بأقربِ الطُّرُق وأصحِّها وأوضحها، ولا تجدُ باباً من أبواب المعارف الإلهية، وأعمالِ القلوب وأدويتها من عللها وأسقامها إلا وفي فاتحة الكتاب مفتاحُه، وموضعُ الدلالة عليه، ولا منزلاً من منازل السائرين إلى ربِّ العالمين إلا وبدايتُه ونهايتُه فيها.

ولعَمْرُ الله إنَّ شأنها لأعظمُ من ذلك، وهي فوقَ ذلك. وما تحقَّق عبدٌ بها، واعتصم بها، وعقل عمن تكلَّم بها، وأنزلها شفاءً تاماً، وعصمةً بالغةً، ونوراً مبيناً، وفهمها وفهم لوازمَها كما ينبغي ووقع في بدعةٍ ولا شركٍ، ولا أصابه مرضٌ من أمراض القلوب إلا لماماً، غيرَ مستقر.

هذا.. وإنها المفتاح الأعظم لكنوز الأرض، كما أنها المفتاحُ لكنوز الجَنَّة، ولكن ليس كل واحد يُحسن الفتح بهذا المفتاح، ولو أنَّ طُلابَ الكنوز وقفوا على سر هذه السورة، وتحققوا بمعانيها، وركَّبوا لهذا المفتاح أسناناً، وأحسنُوا الفتح به، لوصلوا إلى تناول الكنوزِ من غير معاوق، ولا ممانع.

ولم نقل هذا مجازفةً ولا استعارةً، بل حقيقةً، ولكنّ لله تعالى حكمةً بالغةً في إخفاء هذا السر عن نفوس أكثر العالمين، كما أن له حكمةً بالغة في إخفاء كنوز الأرض عنهم. والكنوزُ المحجوبة قد استُخدمَ عليها أرواحٌ خبيثة شيطانية تحولُ بين الإنس وبينها، ولا تقهرُها إلا أرواحٌ عُلْوية شريفة غالبة لها بحالها الإيماني، معها منه أسلحةٌ لا تقومُ لها الشياطين، وأكثر نفوس الناس ليست بهذه المثابة، فلا يُقاوِمُ تلك الأرواح ولا يَقْهَرُها». اهـ





كل القرآن شرح لأم الكتاب
وأمثلة على السور الشارحة لها

الإخلاص
هي صفة الرحمن،
وهي شارحة للنصف الأول
من الفاتحة حتى قوله
(وإياك نستعين)

الكافرون
وهي شارحة للنصف
الأخير من الفاتحة من
قوله (وإياك نعبد)

السبع الطوال
شرح لقوله تعالى
(صراط الذين
أنعمت عليهم)

فصلت والأعراف
شرح لقوله تعالى
(غير المغضوب عليهم
ولا الضالين)

المعوذتان
شرح لقوله تعالى
(وإياك نستعين)

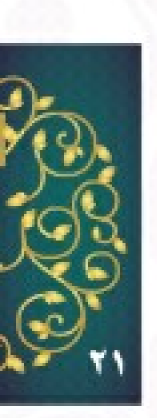
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾

الزمر والأنعام
شرح لقوله تعالى
(إياك نعبد)

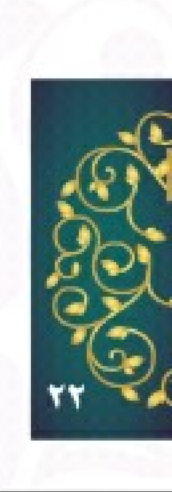
الأعلى وتبارك
شرح للآيات الثلاث
الأولى من الفاتحة

جزء ق وإخواتها
شرح لقوله تعالى
(مالك يوم الدين)

الرحمن ومريم
شرح لقوله تعالى
(الرحمن الرحيم)



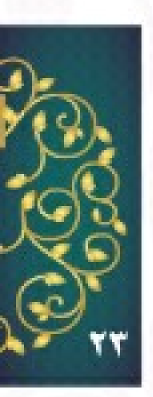
تطبيقات عملية



تطبيق تربوي

درب ذهنك واستنبط ما تؤول إليه الأحزاب والسور التالية من آيات سورة الفاتحة:

الحزب أو السورة	ما تؤول إليه من آيات الفاتحة	التعليل
سورة البقرة	﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾	سورة البقرة أغلبها في شأن اليهود وموقفهم من الوحي
سورة آل عمران	﴿الضَّالِّينَ﴾	أغلبها في شأن النصارى وأسرة آل عمران ووفد نجران وما يتبع ذلك
سورة الأنعام والزمر والإخلاص	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾	كلها في التوحيد وإخلاص الدين لله وحده
ذوات الراء من يونس إلى الحجر	﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	في قصص الداعين للحق وأعدائهم
ق، والطور، والقمر، والواقعة، والحاقة، والمعارج، والقيامة، والمرسلات، والتكوير، والإنفطار، والانشقاق، والغاشية، و...		
فاطر واقرأ وتبارك والأعلى والفيل وقريش		العلم بالله
الضحى والشرح والكوثر		
يوسف		
الحج		
الإسراء		
آل حم		
النحل		
الطواسيم		
محمد		
المجادلة		
الممتحنة		
الفيل وقريش		



○ وهكذا أيضاً من جهة المعاني:

فالألوهية في قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

والربوبية في قوله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

والمُلك والدار الآخرة في قوله ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.[1]

والعبادات كلها من اعتقادات وأحكام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

والشريعة كما في قوله ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

والأنبياء في قوله ﴿أَنْعَمْتَ﴾.

وطوائف الكفار في قوله ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾.

وفيها أركان الدين: الحب و الرجاء والخوف:

فالحب في قوله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

والرجاء في قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

والخوف في قوله ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.[2]

وتضمنت الفاتحة تثبيت النبوات من جهات عديدة منها:

أ. فكونه رب العالمين لا يليق أن يترك عباده سُدى هملاً؛ فهذا هضم للربوبية، ونسبة الرب إلى ما لا يليق.

---

(١) جاء ذكر الربوبية والألوهية والملك في فاتحة الكتاب وفي خاتمة الكتاب (سورة الناس)، وفي ذكرها مجموعةً في هذين الموضوعين إشارة وتنبيه إلى الاعتناء بهذه الأوصاف لسيس حاجة الإنسان إليها.

(٢) يقول سعيد حوى: (معاني القرآن كلها تدور حول العقائد، والعبادات، ومناهج الحياة، والسورة بدأت بالعقيدة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ وثنت بالعبادات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ وثلثت ﴿بمناهج الحياة ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ وبينت أخيراً أن منهاج المسلمين ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ ويلاحظ أن آخر فقرة فيها مبدوءة بكلمة ﴿ٱهْدِنَا﴾ يأتي في أول سورة البقرة ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ البقرة (١ - ٢)، فالرابطة إذن بين سورة الفاتحة والبقرة والقرآن كله واضحة. يعني (الهداية).

ب . من اسمه الرحمن: فمن رحمته إرسال الرسل، و إنزال الكتب فبهما تحصل حياة القلوب والأرواح التي هي أعظم من حياة الأبدان و الأشباح.

ج . من قوله يوم الدين: وهو يوم الحساب وما كان الله ليعذب أحدًا قبل إقامة الحجة عليه، والمحبة إنما قامت برسله وكتبه.

○ وسميت الشفاء والواقية والرقية:

لأنها اشتملت على دواء فيه شفاء القلوب وشفاء الأبدان، فمن أصابه مرض في ظاهره أو باطنه فضاقت عليه الحيل واستحكمت به العلل فلا يفزعن لشيء كفزعه إلى أعظم ما انشقت عنه السماء ونزل إلى الأرض!!، ولا يقولن قرأت وفعلت حتى مللت، بل ليرددها كما تردد الأطيار أنغامها، ويكررها كما تكرر النفس الغريقة بعد النجاة أنفاسها، فلذة مناجاتها . والله . أحلى من شدو الطير وأفرح من رد الأنفاس بعد الإياس من الحياة.

فأما اشتمالها على شفاء القلوب فلأن مدار اعتلال القلوب على أصلين هما:

أ . فساد العلم.

ب . فساد القصد.

ويترتب عليهما داءان قاتلان هما:

أ. الضلال.

ب. الغضب

فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد.

والعلاج بأمرين:

الأول: بهداية الصراط المستقيم ففيه الشفاء من الضلال.

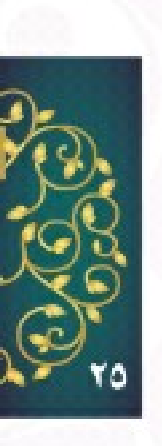
والثاني: تحقيق إياك نعبد وإياك نستعين ففيه الشفاء من فساد القصد.

ثم قد يعرض للقلب مرضان خطيران:

الأول: هو الرياء وعلاجه إياك نعبد.

والثاني: الكبر وعلاجه إياك نستعين.

- ولما كانت الفاتحة فيها الشفاء من أمراض القلوب؛ فشفاؤها للأبدان أولى.

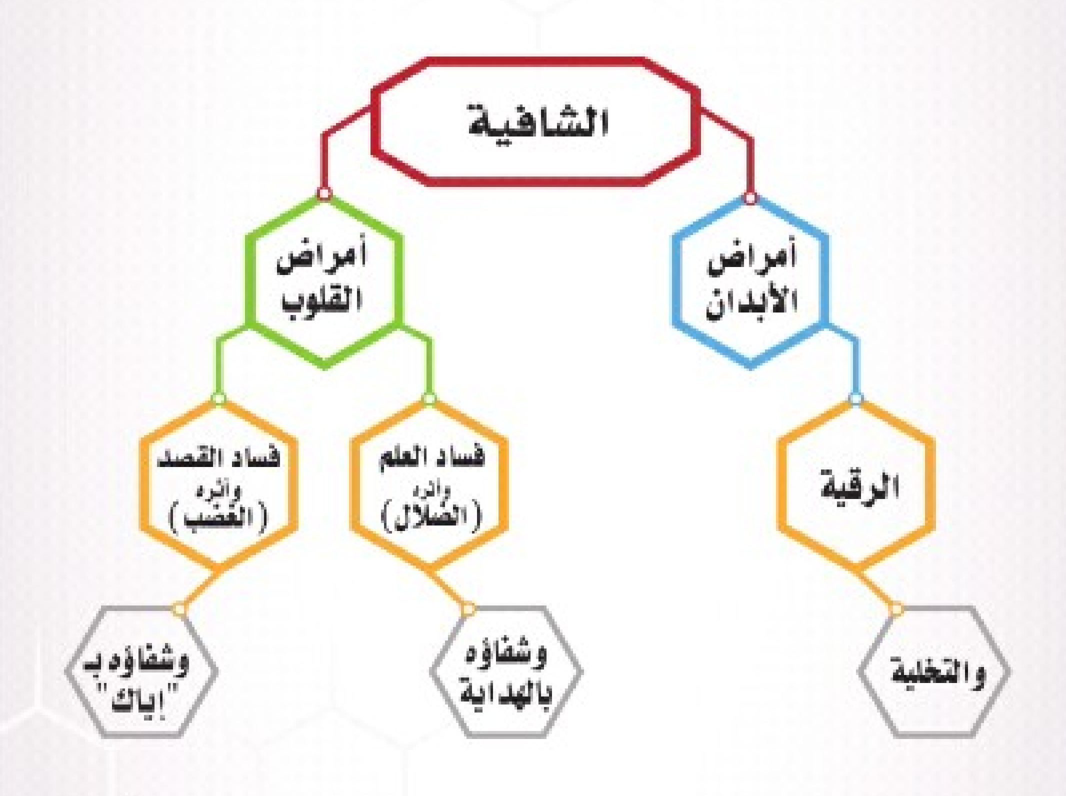


تطبيق تربوي

إذا مرضت في قلبك أو بدنك أو مرض حبيب لك فلتكن الشافية هي مفزعك وهي رقيتك سواء طال المدى أو قصر، كررها بيقين العافية، واستحضر قوة دوائها وضعف الداء أمام عظيم شفائها.

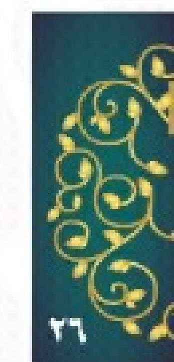
المؤشر: فزعك إلى سورة الفاتحة أكثر من غيرها.

الشافية
أدلتها قطعية لا يشك فيها مؤمن

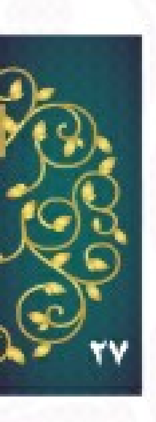


سبب عدم حصول الشفاء

لا تقل قرأت وكررت حتى مللت... فهنا تكون كُسرت فانكسرت، بل رددها كما تردد الأطيار أنغامها.. وكما تكرر النفس الغريقة بعد النجاة أنفاسها... فكمال عافيتها لك؛ حين تكون لذة مناجاتها عندك أحلى من شدو الطير، وأفرح من رد الأنفاس بعد الإياس من الحياة..



تطبيقات عملية



○ الأثر العلاجي لسورة الفاتحة:

في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يُقروهم؛ فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك. فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تُقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعلاً. فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ؛ فسألوه فضحك وقال: وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم.

وقد ذكر ابن القيم كما سبق: (أنه كان يعرض له آلام مزعجة بحيث تكاد تقطع الحركة في وذلك أثناء الطواف وغيره فأبادر إلى قراءة الفاتحة وأمسح بها على محل الألم فكأنه حصاة تسقط، جربت ذلك مراراً، وأحياناً آخذ قدحاً من ماء زمزم فأقرأ عليه الفاتحة مراراً فأشربه فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء).

وهي لعلاج أمراض القلوب والروح أعظم منها لعلاج أمراض البدن مع عظيم أثرها في علاج كل مرض.

○ وسميت الدعاء:

فقد أوضحت سبيل الداعين لمن أراد أن يكون من مجابي الدعوة، ففيها مقدمة الدعاء ولبّ وأعظم وأفضل الدعاء وخاتمة الدعاء كما سيأتي بمشيئة الله.

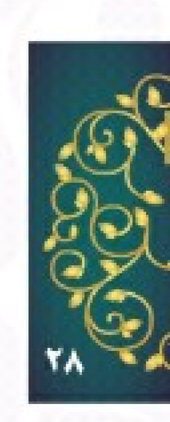
فالفاتحة كلها دعاء ولذا كان من أسمائها «سورة الدعاء»، وفيها الحوائج الأصلية التي لابد للعباد منها؛ ففيها أنفع دعاء دعا به العبد ربه، فإنه يجمع مصالح الدين والدنيا، والعبد دائماً محتاج إليه لا يقوم غيره مقامه، فلو حصل له أجر تسعة أعشار القرآن - دع ثلثه - ولم يحصل له مقصود هذا الدعاء؛ لم يقم مقامه ولم يسد مسده[1].

ويقول ابن تيمية: تأملت أنفع الدعاء؛ فإذا هو سؤال العون على مرضاته ثم رأيته في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[2].

---

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣٢).

(٢) نقله عنه تلميذه ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٧٨).



○ وقد جاءت سورة الفاتحة ببيان آداب الدعاء التي يكون بسببها مقبولاً:

فأول ما يبدأ به الداعي هو الثناء والحمد لربه، ويطيل في ذلك بما يُقارب دعاء المسألة، فقد قُسمت سورة الفاتحة نصفين، نصفاً ثناء ونصفاً دعاء.

وعند النسائي من حديث فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ ﷺ «أن الرَسُول ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَدْعُو فِي صَلاَتِهِ، لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي، ثُمَّ عَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً يُصَلِّي، فَمَجَّدَ اللهَ، وَحَمِدَهُ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ادْعُ تُجَبْ، وَسَلْ تُعْطَ».

وما أحسن قول القائل: إذا كان الله قد أمر الصحابة بالصدقة بين يدي مناجاة رسوله ﷺ كما في «قد سمع»، فالصدقة بين مناجاته تعالى أفضل وأولى بالفضيلة.

ـــ ثم يتذلل لله بذكر عبوديته وحاجته لمولاه، وينطرح بين يدي ربه منكسراً خاضعاً، يتبرأ من كل حول وقوة إلا من حول وقوة القادر وحده سبحانه.

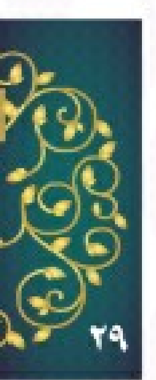
ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجلّ المطالب؛ علّم الله تعالى عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان الوسيلتان إلى المطلوب لا يكاد يُردُّ معهما الدعاء وهما:

ـــ توسل إلى الله بأسمائه وصفاته، ثم توسل إلى الله بعبوديته.

ثم يربي نفسه على معالي الأمور فيبدأ سؤاله بأهم شؤونه وأعظمها ﴿ ٱهۡدِنَا﴾، متبعاً ذلك بكل حاجة له مهما دقّت وصغرت، كما جاء في الحديث عند الترمذي وصححه ابن حبان عن الرّسولِ ﷺ: (ليسألْ أحدُكم ربَّه حاجته كلها حتى شِسْعَ نَعْلِه)[1]، وكان بعض السلف يسأل الله حتى ملح عجينه وعلف شاته.

---

(١) شِسْعُ النعل: أي سير من سيور النعل.



ـــ وعلمتنا سورة الفاتحة الإلحاح في الدعاء، فالمسلم يكرر نفس الدعاء في كل ركعة منها دون ملل ولا كلل، ففي الصحيحين قال: (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي!) ، وثبت في مسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: (ألِظُّوا[1] بـ: يا ذا الجلال والإكرام).

تطبيق تربوي

ما سبق من دلالات السورة هو منهج كامل في التأدب بما أدبتك به سورة الدعاء، فقد جاءت الفاتحة بأزكى وأرفع وأعلى وأعظم أدب يكون من الداعي مع المدعو سبحانه.

(١) ألِظُّوا: مأخوذ من ألظَّ بالشيء: إذا لازمه، أي لازموه، وثابروا عليه.



أنواع التوحيد
المشتملة عليها سورة الفاتحة

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾

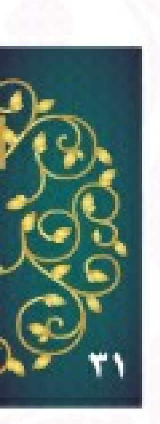
ثالثاً: المسألة فبقدر توحيدك سيكون قدر استجابة الحق سبحانه لدعائك.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

ثانياً: الألوهية: فلن تعبد وتدعو ربك كما المخلصين المخبتين حتى توحده تمام توحيده.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾

أولاً الربوبية: فلن توحد ربك حق تقصده حتى تعرفه حق معرفته.





تطبيقات عملية





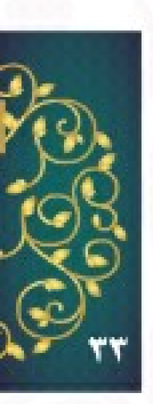
الفاتحة ثلاثة أثلاث

١
بيان لأسباب استحقاق العبادة

٢
اعتراف وإقرار

٣
وصف للطريق وطلب لتحقيقه

مقصود الفاتحة تحقيق كمال العبودية لله



مواقف للسلف وأهل العلم مع تعظيم الفاتحة:

وهي كثيرة ، وقد اخترت منها ما يلي :

- ألف الإمام ابن قيم الجوزية / كتاباً عظيماً في مجلدين كبيرين لشرح آية واحدة من أم الكتاب أسماه «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين». قال ابن رجب / : وهو كتاب جليل القدر .

- وذكر الذهبي في سير النبلاء (١٢ / ٨٧) : عن محمد بن عوف الحمصي قال: قام الإمام العابد أحمد بن أبي الحواري يصلي العتمة (العشاء)، ثم قام بعدها يصلي فاستفتح بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ حتى بلغ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، قال محمد : فطفت الحائط كله ثم رجعت فإذا هو لايجاوزها، ثم نمت ومررت في السحر وهو يقرأ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، فلم يزل يرددها إلى الصبح .

- وذكر ابن عساكر / في تاريخ دمشق (٤٨ / ٢٠٩) : أن غيلان القدري . وكان يزعم أن الله لم يقدر شيئاً بل العبد هو الذي يخلق فعله وليس لله قدرة على فعل العبد من حسنات وسيئات وهؤلاء يسمون القدرية. أرسل إليه الخليفة هشام بن عبدالملك فجيء به فقال له هشام : ألست كنت عاهدت الله لعمر بن عبدالعزيز أنك لا تكلم في شيء من كلامك؟ قال : أقلني يا أمير المؤمنين قال: لا أقالني الله إن أنا أقلتك يا عدو الله ! أتقرأ فاتحة الكتاب؟ قال : نعم فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين» قال: قف يا عدو الله على ما تستعين الله ؟ على أمر بيدك أم على أمر بيده ؟! فسكت . فقال هشام انطلقوا به فاضربوا عنقه واصلبوه .

- وفي كتاب العبر في خبر من غبر (٣ / ٦٣) : أن الإمام الحافظ أبا عمر الباجي الإشبيلي / توفي وهو يقرأ في صلاة المغرب حين بلغ قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ففاضت نفسه .

• وأيضاً في الوافي بالوفيات (٣ / ٢٠٠) : أن العلامة الفقيه أبا سعد بن أبي بكر الإسماعيلي شيخ الشافعية بجرجان / أكرمه الله بأن مات وهو في صلاة المغرب يقرأ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

• وفي سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٨٨) : عن ابن عيينة / قال: كان عمر بن ذر / إذا قرأ : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قال: يا لك من يوم ما أملأ ذكرك لقلوب الصادقين .

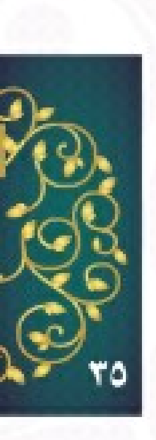
• وفي النجوم الزاهرة (١ / ٤٢٣): أن الإمام محمد بن أحمد الرملي المعروف بابن النابلسي / بعث إليه والي مصر كافور الإخشيدي بمال فرده ، وقال للرسول: قل لكافور : قال الله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فالاستعانة بالله وكفى .

• وقال الحافظ البزار /: وكنت أستمع إلى ابن تيمية / ما يتلو وما يذكر من الفجر إلى ارتفاع الشمس؛ فرأيته يقرأ الفاتحة ويكررها ويقطع ذلك الوقت كله في تكرير تلاوتها .

• ويقول ابن القيم في زاد المعاد في كلام لا يخرج إلا من جوف إمام :

(فَاتِحَةُ الْكِتاب : وأُمُّ القرآن، والسبعُ المثاني، والشفاءُ التام، والدواءُ النافع، والرُّقيةُ التامة، ومفتاح الغِنَى والفلاح، وحافظةُ القوة، ودافعةُ الهم والغم والخوف والحزن لمن عرف مقدارَها وأعطاها حقَّها، وأحسنَ تنزيلها على دائه، وعَرَفَ وجهَ الاستشفاء والتداوي بها، والسرَّ الذي لأجله كانت كذلك.

ثم قال : ومَن ساعده التوفيق، وأُعين بنور البصيرة حتى وقف على أسرارِ هذه السورة، وما اشتملت عليه منَ التوحيد، ومعرفةِ الذات والأسماء والصفات والأفعال، وإثباتِ الشرع والقَدَر والمعاد، وتجريدِ توحيد الربوبية والإلهية، وكمال التوكل والتفويض إلى مَن له الأمر كُلُّه، وله الحمدُ كُلُّه،



وبيده الخيرُ كُلُّه، وإليه يرجع الأمرُ كُلُّه، والافتقار إليه فى طلب الهداية التي هى أصلُ سعادة الدارين، وعَلِمَ ارتباطَ معانيها بجلب مصالحهما، ودفع مفاسدهما، وأنَّ العاقبةَ المطلقة التامة، والنعمةَ الكاملة مَنوطةٌ بها، موقوفةٌ على التحقق بها، أغنته عن كثير من الأدوية والرُّقى، واستفتح بها من الخير أبوابه، ودفع بها من الشر أسبابَه) .أهـ كلام ابن القيم

- وكان الشيخ عبدالرحمن الدوسري / يبكي مع الفاتحة كلما قرأها حكاه عنه تلميذه د.عبدالعزيز العويد . والمواقف في هذا كثيرة ،،

ثانياً: مقصود السورة:

هي تجمع كل مقاصد القرآن؛ فالسورة مبنية على معاني الكمال والشمول لحق الخالق ومصلحة المخلوق، وهذان يجمعان كل مقاصد القرآن، فتأمل - سلمك الله - هذه المعاني في فاتحة الكتاب:

نصفها الأول: مبنياً على إثبات استحقاق الله تعالى واختصاصه بالكمال المطلق، فإن قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ يتضمن الأصل الأول، وهو معرفة الرب تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

ونصفها الثاني: مبنياً على ما يحقق للعبد كماله البشري، ويُوفي له بقضاء حاجاته، ونيل سعاداته في الدنيا والآخرة، وهذا ظاهر بما حققته من المعاني والوجوه التي تضمنها قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾، فهو بيان أن العبد لا سبيل له إلى سعادته إلا باستقامته على الصراط المستقيم، وأنه لا سبيل له إلى الاستقامة إلا بهداية ربه له[1].

---

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣٢).

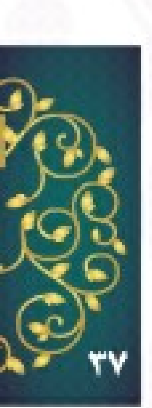
ويتضمن بيان طرفي الانحراف عن الصراط المستقيم، وأن الانحراف إلى أحد الطرفين انحراف إلي الضلال الذي هو فساد العلم والاعتقاد، والانحراف إلى الطرف الآخر انحراف إلى الغضب الذي سببه فساد القصد والعمل[1].

وبينهما: بيان الطريق الموصلة إليه، وأنها ليست إلا عبادته وحده بما يحبه ويرضاه واستعانته على عبادته ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فهو لا سبيل له إلى عبادته إلا بمعونته، ولذا كان مقصودها أعظم المقاصد، وهو تحقيق كمال العبودية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات:٥٦.

- فأولها: بيان لأسباب الاستحقاق ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾.
- وأوسطها: اعتراف وإقرار ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.
- وآخرها: وصفٌ للطريق وطلبٌ لتحقيقه ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾.

---

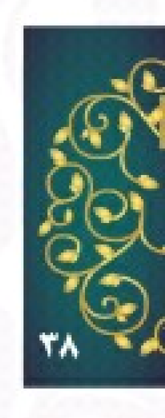
(١) يُنظر: الفوائد لابن القيم (١٩/١).





تطبيقات عملية

(تذكر مواقفك أنت مع أم القرآن)



○ مزايا سورة الفاتحة أسلوباً وموضوعاً وأثر ذلك على المعلم والداعية:

فأما من جهة الموضوع فهي تلتف حول معنى واحد عظيم هو: الإيمان أولاً فالآيات الأربع الأولى كلها توحيد.

والثلاثة المتبقية هي شاملة للتوحيد وغيره، وللتوحيد فيها النصيب الأعظم.[1]

وأما الأسلوب فلها ثلاث ميزات: التعظيم والتركيز والتدرج؛ فجاء التعظيم لله للعظيم سبحانه ظاهراً فيها، فالسورة كلها عظمة في استهلالها وفي وصفها وفي إشاراتها وفي تقريرها وفي سؤالها وفي سياقها وتدرجها وفي مسك ختامها.

وكذا كانت دعوته ﷺ فيها التركيز على التأليه للعظيم وحده سبحانه؛ فقد كان واضحاً في دعوته لقريش فكان يكرر عليهم: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا».

وهو يركز على قضية التوحيد بنوعيه ربوبية وألوهية = العلم بالله = لا إله إلا الله، ويحشد لها الأدلة العقلية والقلبية، ويحرك كل الجوارح لتأملها والتفكر فيها، ويطرحها بوضوح كامل ويكررها تكراراً لا تبقى معه أي غمغمة، وما عداها مما يُذكر من الآيات إنما يؤتى به من أجلها، وثمرة ذلك: حتى تنطبع هذه الحقيقة في القلب والنفس والجوارح، وحتى يؤسس في القلب قاعدة متينة كبرى يقوم عليها الدين كله بعد ذلك، فلا يتخلخل البنيان مع طول الأمد وبُعد العهد.

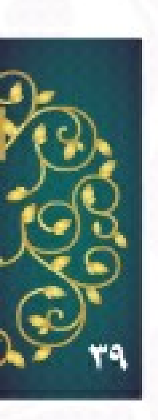
ثم هو يعظم شأن العلم بالله وتوحيده جداً ويبين لوازمه، ويرغب من يؤمن به ويعظم البشارة له ويصفه برجحان العقل وسلامة القلب وقوة الفكر ويعده بنعيم لا ينفد لم تكتحل بمثله عين ولن يخطر على قلب بشر، وفي مقابل ذلك

---

(١) ويشرح ذلك أوائل ما نزل من القرآن فهو يفصل آيات أم القرآن ويوضحها، فقد دعا القرآن في أول نزوله إلى قضيتين عظيمتين هما:

أ- العلم بالله: وقد امتلأ جزء عم بها مثل: سورة عم والطارق واقرأ والإخلاص والكافرون وسبح والطارق والفيل وغيرها كثير.

ب- الإيمان باليوم الآخر ووعده ووعيده، وهذه أظهر من أن يمثل لها.



تهديد من يعرض عنها وإعظام النذارة له، وأن أمه هاوية ومستقره سجين وطعامه الزقوم وشرابه الغساق وأن الجحيم تزفر حنقاً عليه وشوقاً لعذابه، وأن القوارع مما أصاب أسلافهم مما علموا خبره وتيقنوا وقوعه سيصيبهم فهم أضعف منهم، فإذا استمر المُعرض في إعراضه بعد وصول البينات إليه وطول توارد البراهين عليه؛ فأولئك كفرة فجرة مجرمون عمي البصائر كأنهم حُمُر مستنفرة سيعترفون أنهم لو كانوا يسمعون أو يعقلون ما كانوا من أصحاب السعير.

وهذا الخطاب يحتاجه المؤمن والكافر، أما حاجة الكافر لذلك فظاهرة، وأما المؤمن فحتى تبقى جذوة الرجاء والخوف في قلبه مشتعلة؛ فيطلب الجنة ويباعد عن النار طيلة حياته فلا يفتر ولا يغتر، فلا يأمن على نفسه من الهلاك إلا مغرور.

والتركيز واضح في فاتحة الكتاب فأكثر من نصفها خالص في التوحيد لم يُشب بشيء غيره.

وفي حديث أبي أمامة عند مسلم في صحيحه: (... فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ مَا أَنْتَ قَالَ « أَنَا نَبِيٌّ ». فَقُلْتُ وَمَا نَبِيٌّ قَالَ « أَرْسَلَنِي اللَّهُ ». فَقُلْتُ وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ قَالَ « أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ وَكَسْرِ الأَوْثَانِ وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لاَ يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ »).

فهذه خلاصة دعوته ﷺ.

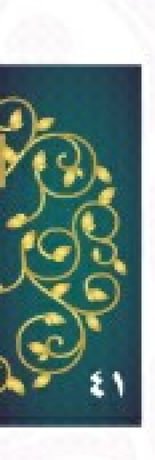
والتدرج فيها واضح المعالم؛ فالربوبية أولاً، ثم منها إلى الألوهية، ثم منها إلى الاتباع الكامل بالسير على طريق الذين أنعم الله عليهم، وايضاً في الربوبية معنى التدرج، فالربانيون هم من يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنما أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء: ولا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، ولقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ القمر: ٤٦، وما

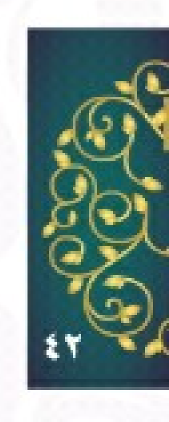
نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده. فحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تطبيق تربوي واضح المعالم.

تطبيق تربوي

التعظيم والتركيز والتدرج في التربية ظاهر جداً في حديث عائشة وقد خرج من بيت النبوة، وله ابتداء وانتهاء واضحين مُعلَمين يلوحان لكل ذي عينين؛ فالإيمان أولاً ولا بد، ثم الأحكام، وجاءت سيرته ﷺ شرح وتفصيل لهذا المنهج، فقد أمضى ثلثي دعوته لبناء الإيمان الصحيح في قلوب أصحابه ثم ثلث دعوته الأخير في تعليم الأحكام وفرائض الرب العلام جل وعلا.



تطبيقات عملية



ثالثاً: مفردت الفاتحة:

﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾: الثناء بالجميل مع الحب والإجلال للممدوح، وبدون ذلك يُسمى مدحاً لا حمداً.

﴿لِلَّهِ﴾: علم على الذات العلية المقدسة، أي المألوه وهو المعبود الذي تألهُه القلوب فتعبده سبحانه، ولم يتسمّ بهذا الاسم غيره جل وعلا.

﴿رَبِّ﴾: الرب هو الذي يربي غيره بنعمه وعنايته.

﴿ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾: جمع عالَم، وهو كل موجود سوى الله تعالى.

﴿ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: صفتان لله مشتقتان من الرحمة، والرحمن: صيغة مبالغة (فعلان) أي: عظيم الرحمة، وهو اسم عام في جميع أنواع الرحمة لكل المخلوقين بلا استثناء، وأما الرحيم فهي أخص كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ (الأحزاب: ٤٣).

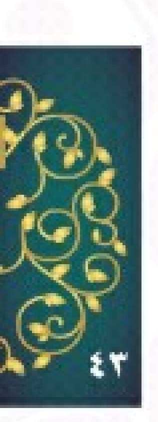
﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: أي مالك يوم الحساب والجزاء، وخص لفظ (الدين) من دون الأسماء الأخرى ليوم القيامة لأن المقصود التنويه بما يكون في ذلك من المجازاة والمحاسبة التامة الشاملة.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾: أي نخصك بالعبادة ولا نعبد غيرك، والعبادة هي: الطاعة والتذلل والخضوع.

﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾: أي نخصك بطلب المعونة، فأنت مصدر العون والفضل والإحسان.

وفي ترتيب المدارك (١ / ٢٢٤) أن الإمام المالكي المشهور سحنون / إذا ضاق عليه أمر، يقول: ضيقي تنفرجي، يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين.

وفي البداية والنهاية لابن كثير (٧ / ٩١): أن عمر الفاروق رضي الله عنه عام الرمادة أخرج الناس إلى الاستسقاء، فخرج وخرج معه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ماشياً، فخطب العباس وأوجز وصلى ثم جثا على ركبتيه وقال: اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا، ثم انصرف فما بلغوا




المنازل راجعين حتى خاضوا الغدران.

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾: الهداية هي الدلالة بتلطف، والمراد عرِّفنا ودلنا وتلطف بنا يا رب؛ لنسلك الطريق المعتدل، الذي هو أقرب الطرق الموصلة إليك وإلى جنتك.

وفي مختصر تاريخ دمشق (١ / ١١٦١): عن أبي العالية / في قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ قال: هو رسول الله ﷺ وصاحباه. قال: فذكرنا ذلك للحسن البصري / فقال: صدق أبو العالية ونصح.

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾: طريق من أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾: لا تجعلنا من المغضوب عليهم، وهم الذين عرفوا الحق فلم يعملوا به.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾: الذين لم يعرفوا الحق فعبدوا الله بجهل.

«آمين»: أي استجب دعاءنا يا ربنا، وهي ليست من القرآن. [1]

وقد أخرج الأئمة الستة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمّن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينُه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه».

(١) الفرق بين بعض كلمات الفاتحة ومرادفاتها مما هو يشابه معناها:

- الفرق بين الحمد والمدح:

الحمد: هو ذكر صفات الممدوح محبةً و تعظيماً، فإذا خلا من المحبة و التعظيم صار مدحاً لا حمداً.

- الفرق بين الحمد والشكر:

بينهما عموم وخصوص وجهي، فالحمد يكون مقابل نعمة أو دونها، أما الشكر فلا يكون إلا مقابل نعمة.

رابعاً: تربويات الفاتحة:

- على المسلم أن يبتدئ كل أمر من أموره باسم الله اقتداءً بالله عز وجل وتبركاً باسمه العظيم سبحانه.

وبالبسملة يفتتح المسلم عمله كله بها طلبة للبركة والعون من الله، فيفتح الله له بها مغاليق الأمور، فالبسملة من هدي الأنبياء السابقين، وفي كتاب الله تعالى على لسان نوح: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ هود: ٤١، وابتدأ بها سليمان عليه السلام في كتابه ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾ النمل: ٣٠، وكذلك سور القرآن فصار البدء بها عند الأفعال المشروعة سنة إلى يومنا هذا.

وعند أحمد في المسند عن ردف النبي ﷺ قال: عَثَرَ بالنَّبِيِّ ﷺ حِمَارُهُ فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَقَالَ «لا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ. تَعَاظَمَ وَقَالَ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ، وَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ تَصَاغَرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ» قال ابن كثير: إسناده جيد.

ولذا تُشرع البسملة عند: الوضوء والأكل والتذكية والصيد والجماع والنوم والدخول والخروج وأوراد الصباح والمساء ورقية المريض وإنزال الميت في القبر وعند اغلاق الأبواب وتغطية الآنية في الليل، وغيرها.

- الحمد لله: يقول نظام الدين النيسابوري: في تفسيره «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» في كلام محرر نفيس عن مقامات الحمد:

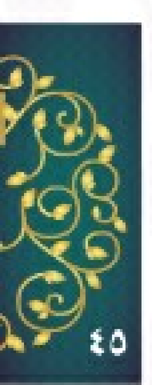
الحمد على نعم الدين أفضل من الحمد على نعم الدنيا،

والحمد على أعمال القلوب أولى من الحمد على أعمال الجوارح،

والحمد على النعم من حيث إنها عطية المنعم أولى من الحمد عليها من حيث هي نعَم، فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضعه اللائق به[1].

---

(١) (١ / ٩٥) **تطبيق تربوي:**





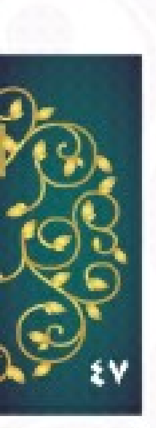
تطبيقات عملية



﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: بعد ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فيه إشارة على ضعف العالمين وحاجتهم إلى رحمته سبحانه فكُرر ذكر الرحمة أربع مرات للتأكيد.

- قدم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ لأن رحمة الله سبقت غضبه، وفيه دلالة على تقديم صفات الرجاء والرحمة على صفات الخوف والهيبة عند تعريف الخلق بخالقهم سبحانه.
- ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: ولم يقل (رب يوم الدين) لأن لفظ ملك مشعر بالقوة والصرامة، والمقام مقام هيبة من الحساب، بخلاف لفظ (رب) فقد يوحي للقارئ بالاستمرار في معصيته طمعاً برحمة ربه سبحانه، فلابد من الجمع بين الكتاب الهادي والسيف الماضي، وبدون اجتماعهما يكون المربي إما جباراً أو ساذجاً، وهذا عين سياسة ذي القرنين التي حكاها الله - في سورة الكهف.
- قدمت ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ وهي متعلقة بالألوهية على ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ وهي متعلقة بالربوبية كما قدم لفظ الجلالة (لم) على لفظ (مم) في مطلع السورة، لأن الألوهية متضمنة للربوبية فلا معنى للإيمان بالربوبية دون أداء حق الألوهية، كما أن الربوبية مستلزمة للألوهية.
- ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: هو الطريق المسلوك الواضح البيّن.
- علق الله الأحكام بالأوصاف التي هي مناط الحكم لا بالمسميات فقال ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، ولم يقل في الفاتحة (اليهود) ولا (النصارى)؛ لأن الأوصاف أعم وأدق فهي جامعة مانعة، فهي تحذير من كل طريق سببه الشبهة أو الشهوة، فكلاهما خطافتان لكل من تعرض لهما.

وفيه التحذير من منهج الغلو والإرجاء في الأديان أو الأحكام والأشخاص.





تطبيق تربوي

إعلم ـ علمك الله ـ أن أول الفاتحة حمدٌ، وأوسطها عبادةٌ، وآخرها هداية، وحظ العبد من الهداية على قدر حظه من العبودية، وحظه من العبودية على قدر حظه من الحمد.

وبالحمد افتتح الله كتابه؛ وجاء حمده بالجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والاستمرارية، ولذا كان من عقل اللبيب الفطن أن يتفقد حاله مع حمد ربه، فيجيب على ما يلي إجابة واضحة صريحة:

هل أنت مستشعر بقلبك عظم مقام الحمد من بين مقامات الإيمان بربك ؟

وعلى أي المقامات الأربعة السابقة تحمد أنت ربك ؟

وكيف جاء حمدك؟ هل اشترك فيه قلبك ولسانك وجوارحك ؟

وما مقداره في يومك وليلتك ؟ وكيف تكون حامداً في كل لحظات حياتك ؟

وما هي أنواع النعم التي تحتف بك لتحمد الله عليها ولا تنساها ؟

وكيف ترتفع بحمدك لربك ليكون أقرب شيء لحمد النبيين والمقربين ؟

وما هي منغصاته ومنقصاته ونواقضه ؟

وهل استغفرتَ مولاك الغني عنك من حمد جرى بلسانك غفل معه قلبك ؟

ـ لم تفتتح السورة بصيغة الأمر بأن يقال: "احمدوا الله"؛ مع أن المراد به الأمر أي قولوا: الحمد لله، وذلك لأن الأمر يقتضي التكليف، والتكليف قد تنفر منه النفوس فأراد – سبحانه – أن يؤنسهم ويؤلف قلوبهم ترفقاً بهم، حتى يديموا الإصغاء لما سيلقيه عليهم من التكليف بعد ذلك.

تطبيق تربوي آخر:

في هذا تأديب للمربين ألا يستخدموا لفظ الأمر في (كل) توجيه أو تكليف.

وأن يُعرفوا بالآمر قبل أن يُعرفوا بالأمر، فمن عرف الله تلذذ بالاستجابة لأوامره.

فالرب العظيم حمد نفسه ليحمده عباده كما حمد هو نفسه سبحانه، وفي سور أخرى أمر الرب عباده أمراً صريحاً بالحمد ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ النمل: ٥٩، وكأن مجيء الصيغة الأولى في فاتحة الكتاب تنبيه للمربين أن الأصل في توجيه الناس لحمد الله ألا يكون بصريح الأمر بل بما يدل عليه ويؤدي إليه، ولذا جاءت أكثر آيات الحمد بصيغة الخبر لا بصيغة الأمر كما قال تعالى ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ الروم ١٨: وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ سبأ: ١.

فأكثر حمد الله بلسانك وجوارحك أمام أبنائك ومن تربي، فكأنك بحمدك لله كثيراً وهم يسمعون تقول لهم: احمدو الله كثيراً كثيرا.

ـ ابتداء السورة بالحمد فيه تأديب بحمد المنعم والتحلي بفضيلة الشكر للمحسن.



تطبيق تربوي

في مقام التأديب والردع والتخويف والزجر يكون الخطاب بصفة تناسب المقام، فيكون فيه من الترهيب والهيبة والحزم ما يردع المخاطب.

فلا يصح أبداً أن تحذر من ذنب كبير أو ظلم عظيم للنفس أو للناس بخطاب لين مُرغب دون وعيد ترتعد من فرائص المؤمنين وكأنك منذر حرب.

ودع عنك خطاب المغترين بالخطاب الإيجابي وقد سمعنا بعضهم يقول: أنا أحب فلاناً لأنه يذكرنا بالجنة دون النار!!!، وهذه مخالفة صريحة لصراط الله المستقيم وصراط الذين أنعم الله عليهم، بل هو ضلال مبين إن نسب ذلك إلى دين الله وكتابه العظيم.

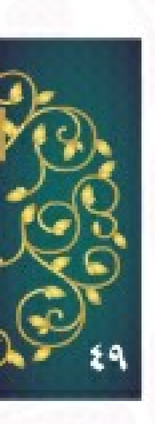
ومن تتبع هدي القرآن في ذلك خصوصاً أوائل ما أنزل الله: وجد أن آيات الوعيد والتهديد والتخويف والنار ضعف آيات البشارة والوعد الجميل والجنة.

وانظر ذلك في جزئي تبارك وعمّ وقد أحصيت آيات الوعد والرجاء وآيات الوعيد والتهديد في كلا الجزئين: فكانت آيات الوعيد ثلاثة أضعاف آيات الوعد بل وأكثر من ذلك، والتمسته أيضاً في ما عداهما من القرآن فكان الأمر قريباً من ذلك.

وذكره . لهذين الوصفين (المغضوب عليهم والضالين) تعريفاً بأصل ضلال الناس، وهو إما بنقص العلم أو بنقص العمل، فديننا لابد منهما معاً، فلا عمل إلا بعلم، ولا علم إلا بعمل.

وإشارة إلى أن المنعم عليهم يعرفون عدوهم وويعرفون أسباب ضلالهم، بل ويمايزون بين أعدائهم فيعرفون كلاً وما يميزه عن صنوه في الضلال، وكل ذلك كمال في العلم لأنه معرفة الجاهلية بتفاصيلها كما فصل الله ذكرها في سور كثيرة من القرآن؛ يعين على البعد عنها والتبصر في مسالكها والسلامة منها.

فمعرفة الشر للحذر منه: خصلة كمال في المؤمنين أشارت إليها فاتحة الكتاب، وهذا ينطبق على معرفة ضلال الملاحدة والمشركين وأهل الكتاب والعلمانيين وكذا سائر المبتدعة من الرافضة والصوفية القبورية والخوارج الغلاة والعقلانيين المعتزلة والمرجئة المتلاعبة بالدين، وغيرهم كثير لاكثرهم الله.



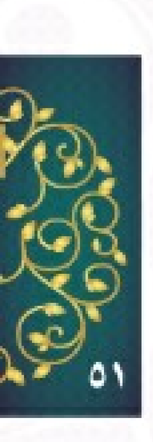
ـــ الفاتحة تحوي مقامات الإيمان الثلاثة: المحبة والرجاء والخوف، والتي لا يستقيم إيمان المسلم إلا بها، فالمحبة في قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، والرجاء في قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والخوف في ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

تطبيق تربوي

فكلما شعرت أن طريقك الذي تسلكه لا يُدرك صدقه ولا يعرف الحق المشتمل عليه إلا خاصة من الناس لهم ذكاء وفطنة لا توجد عند غالب أهل الإسلام، أو رأيته متعرجاً في كل يوم لك فيه حال أو التبست عليك المسالك وأغمضت عليك الدروب وتناقضت عندك الأدلة؛ فدين الله سهل واضح كالبيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، ولذلك لم تأت كلمة (صراط) مع وصف المغضوب عليهم والضالين لأنهم لايسلكون طريقاً سوياً، بل طرقاً ملتوية خبيثة، كلها مكر وخديعة ونفاق فاحذرهم وتنبه لحيلهم وكيدهم.

وكذلك إذا وجدت أن فطرتك ونداء الإيمان في صدرك تأباه وتنازعك في أن يكون هذا القول أو ذاك الفعل من دين الله، كحال من يتنقل في سفره بين أفخاذ النساء، أو ذاك الخارجي المتعطش لدماء المسلمين يستحلها بأدنى شبهة، أو ذاك بذيء اللسان فاحش اللفظ، فهؤلاء كلهم ستسمع منهم آياً من الكتاب وجملاً يروونها عن الأصحاب يتمسحون بها ليستروا سوءاتهم عن أعين الأتباع، فدعهم عنك أجمعين أكتعين، فدين الله الذي يحب المطّهرين ونزل رحمة للعالمين ليس ثمّ؛ فالعجائز تعرف بلا تكلف أن هذا ليس هو طريق الله.

تطبيقات عملية



ونكتفي هنا بكلام إمام من أئمة العلماء الربانيين وهو يؤصل لقاعدة في تحريك القلوب والجوارح إلى الله.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: (ولابد من التنبيه على قاعدة تحرك القلوب إلى الله عز وجل، فتعتصم به، فتقل آفاتها، أو تذهب عنها بالكلية، بحول الله وقوته).

فنقول: اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء:

وأقواها المحبة: وهى مقصودة تراد لذاتها؛ لأنها تراد فى الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ يونس: ٦٢، والخوف المقصود منه: الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقى العبد فى السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه.

والخوف: يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب.

والرجاء: يقوده.

فهذا أصل عظيم، يجب على كل عبد أن ينتبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبداً لله لا لغيره.

فإن قيل: فالعبد فى بعض الأحيان، قد لا يكون عنده محبة تبعثه على طلب محبوبه، فأي شيء يحرك القلوب؟ قلنا: يحركها شيئان:

أحدهما: كثرة الذكر للمحبوب؛ لأن كثرة ذكره تعلق القلوب به، ولهذا أمر الله عز وجل بالذكر الكثير، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ الأحزاب: ٤١ –٤٢.

والثانى: مطالعة آلائه ونعمائه، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوٓا ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ الأعراف:٦٩، وقال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ النحل: ٥٣، وقال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ لقمان: ٢٠، وقال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ إبراهيم: ٣٤.

فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه، من تسخير السماء والأرض، وما فيها من الأشجار والحيوان، وما أسبغ عليه من النعم الباطنة، من الإيمان وغيره، فلابد أن يثير ذلك عنده باعثاً.

وكذلك الخوف، تحركه مطالعة آيات الوعيد، والزجر، والعرض، والحساب ونحوه، وكذلك الرجاء، يحركه مطالعة الكرم، والحلم، والعفو). اهـ كلامه

محركات القلوب إلى الله

الخوف

يمنعه من الخروج عن طريق المحبوب

مطالعة آيات الوعيد والتخويف والحساب والنار، ومشاهدة مصارع الجبارين والمتعدين لحدود الله.

المحبة

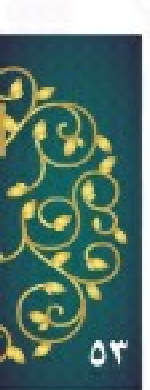
تثير أشواقه للسير نحو المحبوب

مطالعة أسماء وصفات وأفعال الرب الرحمن، ومشاهدة آلائه ونعمه وإكرامه ورحمته في خلقه.

الرجاء

يقوده إلى تتبع رضى المحبوب

مطالعة آيات الوعد الجميل والبشارة والجنة، ومشاهدة نجاة وفوز ونصر المؤمنين وإهلاك أعدائهم.



تطبيقات عملية



ـــ قدم المعبود على العبادة فقال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لإفادة قصر العبادة عليه، وهو ما يقتضيه التوحيد الخالص.

فليكن أول ما تنظر إليه في تربيتك لنفسك ولمن تحت يدك: أن تملأ قلوبهم بقصد المعبود قبل أن يتعلموا صورة العبادة وأحكامها التفصيلية؛ فيتعلموا الإيمان والإخلاص قبل العمل والإتقان.

ـــ وقال ﴿نَعْبُدُ﴾ بنون الجماعة، ولم يقل «أعبد» ليدل على أن العبادة أحسن ما تكون في جماعة المؤمنين، وللإشعار بأن المؤمنين المخلصين يكونون في اتحادهم وإخائهم حيث يقوم كل واحد منهم في الحديث عن شؤونهم الظاهرة، وغير الظاهرة مقام جميعهم.

وأكد هذا المعنى بقوله ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ فهو طريق مسلوك معبد سار عليه أمم ممن هداهم الله وأنعم عليهم.

تطبيق تربوي

استخدم الأوصاف المطابقة حال الحديث عما تمدح أو تذم، والتي يكون فيها مناط الحكم واضحاً لا يلتبس على المتلقي، فلا تستخدم: مصطلح (المشركين) وأنت تقصد (أهل الكتاب) إذا كان المقام مقام تفصيل، ولا مصطلح (حكم الشرع) وأنت تقصد (حكم العالم)، ولا مصطلح (المجاهدين) وأنت تقصد (الخوارج الغلاة)، ولا مصطلح (السلفية) وأنت تقصد (العلماء المعاصرين)، ولا مصطلح (العلماني) وأنت تقصد (الليبرالي)، ولا مصطلح (قول أحمد) وأنت تقصد (مذهب أحمد)، وهكذا كثير..

• في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾: إشارة إلى الجد والاجتهاد في العبودية ولذا جاءت بصيغة المضارعة الدالة على الاستمرار المتجدد.

• في تقديم العبادة على الاستعانة فوائد منها:

أ . العبادة من باب الغايات، والاستعانة من باب الوسائل، والغايات تقدم على الوسائل.

ب. لأنّ العبادة طلب منه والاستعانة طلب منا . فتقدم مطلوب الرب على مطلوبنا .

يقول العز بن عبد السلام /: في كتابه «حل الرموز ومفاتيح الكنوز»: (الطريقة إلى الله لها ظاهر – أي عمل بدني، وباطن. أي عمل قلبي، فظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة، والمراد من الشريعة والحقيقة: إقامة العبودية على الوجه المراد من المكلف. ويجمع الشريعة والحقيقة كلمتان هما قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فإياك نعبد شريعة، وإياك نستعين حقيقة) . أ.هـ

• في إضافة الصراط إلى السالكين له في قوله ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ لكي يزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه.

كما قال بعض السلف:عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين.

فأوصاف الصراط في هذه السورة ثلاث:

١- صراط واحد غير مشتت.

٢- صراط معين غير معوج.

٣- صراط معبد مجرب سلكه المهتدون كثيراً.

ويقع هنا لبس بين ما ذكرناه سابقاً من لزوم الجماعة، وما نذكره هنا من أنك على الحق وإن كنت وحدك، وما يكون من حال المجددين وهو لا يظهرون إلا في حال غربة للحق ووحشة لقلة السالكين فيه، فكيف نفرق بين من شذ عن الجماعة فضلّ وأضل، ومن شذ عنها فاهتدى وهدى ؟.

والجواب: إن الجماعة إنما تكون قبل الفرقة، فإذا كانت الجماعة المسلمة قد اجتمعوا على أمر ثم افترقوا فالحق ما كانوا عليه قبل الافتراق.

ولذا قال نعيم بن حماد: «إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة». وقد لخص ابن حزم / هذه الأقوال وجمعها حيث قال في كتابه (الفصل في الملل): «وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومَن عداهم فأهل البدعة؛ فإنهم الصحابة ن، وكلُّ مَن سَلَكَ نهجهم من خيار التابعين رحمهم الله تعالى، ثم أصحاب الحديث، ومَن اتَّبعهم من الفقهاء، جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومَن اقتدى بهم من العوامِّ في شرق الأرض وغربها».

فهذه الجماعة هي الجماعة الأولى زمن الصحابة وما اجتمعوا عليه، فإن لم تعرف ما عليه جماعتهم؛ فانظر ما عليه جماعة التابعين ممن حمل عن الصحابة وسار على دربهم وأثنى عليه أهل الطبقة الأولى، فإن أشكل عليك ما عليه جماعة التابعين؛ فانظر ما عليه جماعة أتباع التابعين ممن حمل عن التابعين وسار على دربهم وأثنى عليه أهل الطبقة الثانية، وهؤلاء قد شرحوا قولهم وبسطوا الكلام في أصول الدين وفروعه بما لايخفى منهجهم وطريقهم على من تقصده وطلبه، ولو قُدر خفاء بعضه فانظر إلى الذين يلونهم ممن أثنى عليه أتباع التابعين وأوصوا بالأخذ عنه كمالك وابن المبارك وابن مهدي والسفيانين والشافعي وأحمد والبخاري وغيرهم من أئمة الدين.

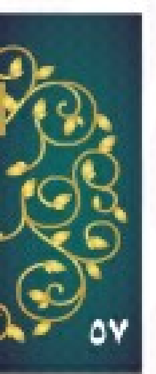
فإذا جاءنا من يحيي مذهبهم وينشر أعلامهم بعد دروسها؛ فهذا هو الجماعة وإن خالفه الناس في شرق وغرب فلا عبرة بخلافهم ولا اعتبار لكثرتهم.

ثم استشعر منة الله عليك أن جعلك تسير على صراط الذين أنعم الله عليهم فكم من ألوف من الناس هم أحدّ ذهناً وأشد طلباً وأطول تهجداً لكن لم يرد الله هدايتهم.

وما أجمل ما قاله ابن القيم في نونيته:

واجعل لوجهك مقلتين كلاهما	من خشية الرحمن باكيتان
لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم	فالقلب بين أصابع الرحمن

- في قوله ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أهمية القدوات الصالحة.



تطبيق تربوي

هذه النون في (نعبد) وكذلك في (اهدنا) وكذلك الميم في (عليهم): يمثلها مئات من العبادات الجماعية مع جماعة المؤمنين، التي لا تصح أو لا تكمل إلا باجتماعهم، وهذه العبادات هي محض تعبد لله، فكيف بعبادات يعرف كل عاقل أنها لا تقوم إلا بالجماعة كالجهاد والإمارة والبيوع والأعياد ونحوها ؟.

وفيها الإشارة إلى أن تكثير سواد المؤمنين من الهدى، وبضده لايجوز تكثير سواد أهل الضلال من الكفرة أو المبتدعة أو المارقين ونحوهم.

فإذا نزغك نزغ من الشيطان لتتفرد بأمر عن جماعة المؤمنين فتذكر هذه النون، وتذكر شرحها وتفصيلها في مواضع كثيرة جداً من القرآن العظيم كقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ آل عمران: ١٠٣ وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ آل عمران: ١٠٥، وقال الرسول ﷺ كما عند أحمد وأبي داود والترمذي وصححه: (إن هَذه الملة سَتفْتَرِقُ عَلى ثَلاث وَسَبعين، ثِنْتَانِ وَسَبعونَ في النَّار، وَوَاحدة في الجنة، وَهي: « الجماعَة »، وقال ﷺ كما عند الترمذي وصححه: « عَلَيْكُمْ بالجَماعَة، وَإيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ؛ فَإنَّ الشَّيطانَ مَعَ الوَاحِد، وَهُوَ من الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَمَنْ أَرَاد بُحْبُوحَةَ الجنة، فَلْيَلْزَم الجَمَاعَة)، وغيرها كثير.

فكلما كان حبك ورأيك وعملك ومشاريعك ونصرتك مع الجماعة وبالجماعة وتكره أن تكون قاصياً بمفردك، تنزوي عن الجماعة وحدك، حتى مع توافر أسباب تفكك الجماعة وكثرة اختلافهم فيما بينهم وبطء العمل وتأخر النتائج إلا أن مبدأ الجماعة يطفو فوق ذلك كله فهو يعلو ولا يُعلى عليه.

فيأيها المربي: لن يصلح حال من تربي إلا إذا كنت أول من يمتثل لما تأمر وأول من ينتهي عما تنهى، ولو أننا تربينا وربينا على هدي الفاتحة لاخترنا القدوات على توجيه ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لجعلنا قدواتهم ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّه عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾، وكان ذلك أول صلاح الجيل.

- في قوله ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فأُسند فعل الإنعام إلى الله تعالى، ولم يسند فعل الغضب إليه، وذلك أدباً في الخطاب مع الله.

تطبيق تربوي

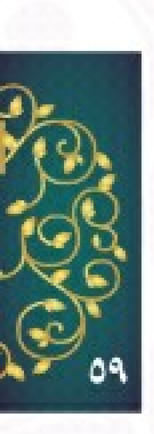
لا تَقِسِ الحقَّ والباطل بالكثرة والقلة، فتقول فلان مشهور ويتبعه كثير ويشاهده كثير ويحضر مجالسه كثير ويعيد تغريداته كثير فهو إذن على الحق، ومن كان نقيض ذلك فهو على الباطل، بل إن معيار الأكثر إذا ورد في القرآن غالباً إنما يرد للذم لا للمدح كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ الأنعام: ١١٦، وقال ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ يوسف: ١٠٣ وغيرها.

وقد يكون المشهور جداً على باطل، والمغمور جداً على الحق، والعبرة بمقدار ما يحمل كل واحد منهما من اتباع وموافقة للجماعة الأولى، فتنبه لذلك.

والنبي يأتي يوم القيامة وليسَ معه أحد، وهذا أويس القرني اليماني أفضل التابعين وأفضل من ابن المسيب والحسن البصري وسعيد بن جبير وغيرهم من أعلام التابعين مع أنه لايكاد يُعرف، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رماه أهل عصره عن قوس واحدة، وبدعوه وسجنوه، وهو أوسع علماً وأقرب هدياً وأسدّ نهجاً وأشبه دعوةً بالجماعة التي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

• في تقديم المغضوب عليهم على الضالين دلالة على أنّ اليهود أعظم كفراً من النصارى، فكفرهم عن عناد وبغي، وكفر النصارى عن جهل، وليس عقوبة من جهِل كعقوبة من علِم وعاند.

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة   وإن كنت تدري فالمصيبة أعـظم





تطبيقات عملية



المفاتيح السبعة للفاتحة

لا تتناس
فكل شيئ
مدون

ثق برحمة
الرحمن الرحيم

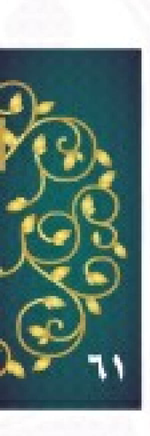
ليكن لك ورد يومي
من الحمد تلازمه

إبدأ يومك بالاستعاذة
وأمورك بالبسملة

الحب والبغض في الله

تعلم كيف
تدعو الله ؟

نجاتك في
إخلاصك وخضوعك



خامساً: المفاتيح السبعة للفاتحة:

قال النيسابوري / في كلام جميل له: تعوذ بالله من (الشيطان الرجيم)، ليدفع عنك العجب، وقل (البسملة) يفتح لك باب الذكر، وقل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يفتح لك باب الشكر، وبقولك ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يفتح لك باب الرجاء، وبقولك ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يفتح لك باب الخوف، وبقولك﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يفتح لك باب الإخلاص، وبقولك﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ يفتح لك باب الدعاء، وبقولك﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يفتح لك باب الاقتداء بالأرواح الطاهرة.

وهذه المفاتيح السبعة، هي:

المفتاح الأول: بدءُ يومك بالاستعاذة، وأمورك بالبسملة:

كما بُدئت سورة الفاتحة بـ (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، فالعاقل يبدأ يومه بالدخول في حمى الله بقراءة المعوذات: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، قراءة قلب ولسان معاً.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما، ويقول: إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق عليهما السلام: (أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة) رواه البخاري.

والأوراد معروفة مشهورة وقد صنف فيها الأئمة مصنفات مستقلة، ولم يقتصر النسائي ولا النووي ولا ابن تيمية ولا ابن القيم ولا غيرهم من الحفاظ الكبار ممن أسند وممن لم يُسند على الصحيح منها بل أوردوا الصحيح والضعيف، لأن الأمر فيه سعة على خلاف ما عليه العمل عند كثير من المتأخرين.

وينبغي لأهل الصلاح ممن يداوم على أوراده أن يعوّذوا أهليهم وبيوتهم وجيرانهم وأملاكهم، فمن كان منهم يقرؤها على نفسه فحسن وهو أفضل، ومن كان صغيراً أو مفرطاً أو أملاكاً لا تعقل فيعوذها هو بما يتلوه من أوراده، وليس في هذا إحداث أو ابتداع ـ معاذ الله ـ إنما الإحداث في الدين ما لو جعل ذلك سنةً ودعا الناس إليها[1]، وباب الرقى واسع مباح ما لم يكن

(١) سئل ابن تيمية رحمه الله عمن يقول: أنا أعتقد أن من أحدث شيئاً من الأذكار غير ما

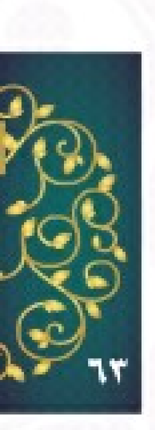
شركاً، والتعويذ إنما هو دعاء فيجوز ما لم يكن إثماً، وقد علق ابن عمرو ب التمائم من القرآن على صدور بنيه مع أن ذلك لم يكن جارياً في زمن النبي ﷺ بإجماع أهل النقل، ولم يقل أحد بأنه مبتدع أو فعل بدعة، وقد جاء مثل ذلك عن السلف وأئمة أهل العلم كثير جداً، وقد سئل شيخنا ابن عثيمين: عن رجل صالح يدور بعد صلاة الصبح على قريته ويعوذها ويقرأ الأذكار، فأجاب بصحة مثل هذا، فقال السائل وهو د.خالد الشبل[1]: لو فعل إمام المسجد نحو هذا، بأن يدور على بيوت أهل حيه من جيرانه الذين يصلون معه فأجاب بنحو الأول.

ـ وقد تقدم ما يتعلق بالبسملة.

شرعه الرسول ﷺ وصرح عنه أنه قد أساء وأخطأ؛ إذ لو إرتضى أن يكون الرسول ﷺ نبيه وإمامه ودليله لاكتفى بما صح عنه من الأذكار، فعدوله إلى رأيه واختراعه جهل وتزيين من الشيطان وخلاف للسنة فالرسول ﷺ لم يترك خيراً إلا دلنا عليه ولم يدخر الله عنه خيراً، بدليل إعطائه خير الدنيا والآخرة إذ هو أكرم الخلق على الله فهل الأمر كذلك أم لا ؟

فأجاب: الحمد لله لا ريب إن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع؛ فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنه لسان ولا يحيط به إنسان، وما سواها من الأذكار قد يكون محرماً وقد يكون مكروهاً وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر الناس وهي جملة يطول تفصيلها، وليس لأحد أن يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس، بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرماً لم يجز الجزم بتحريمه، لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به، وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت فهذا وأمثاله قريب، وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستنان ذكر غير شرعي فهذا مما ينهى عنه ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ونهاية المقاصد العلية ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد.

(١) ذكر ذلك في موقع «ملتقى أهل الحديث» على الشبكة العنكبوتية.



المفتاح الثاني: الثقة بسعة رحمة الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

وقد تكررت «الرحمة» صريحةً في السورة مع قصر آياتها (أربع مرات) في البسملة وداخل السورة، وجاء التنبيه عليها ضمناً في ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وأيضا في قوله تعالى ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ وقوله تعالى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، وهذا ما لم يكن لأي صفة أخرى في سورة الفاتحة إلا الرحمة، فإياك وطريق القانطين ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾ (الحجر: ٥٦) وليتذكر المذنب. وكلنا كذلك. ما ورد في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي).

المفتاح الثالث: المداومة على حمد الله بالقلب واللسان والجوارح وفي كل الأحوال والأزمان والأماكن.

فالفاتحة واحدة من خمس سور كلها افتتحت بالحمد وهي: (الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر)، و«ال» في قوله تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ جنسية استغراقية، تستغرق كل أنواع الحمد له سبحانه دون استثناء.

○ واعلم - رعاك الله - أن أصول الحمد أربعة:

- ✓ حمده سبحانه على ذاته المقدسة وأسمائه الحسنى وصفاته العلى.
- ✓ حمده على خلقه ونعمته.
- ✓ حمده على وحيه وهدايته.
- ✓ حمده على قضائه وقدره.

المفتاح الرابع: تذكير النفس بيوم الجزاء ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾:

فالنفس علاجها الذي لا تُفلح إلا به؛ أنها إن أقبلت على الطاعة فذكِّرها بالجنة، وإن أقبلت على المعصية فخوفها بالنار؛ ألا ترى كيف ملأ الله كتابه العظيم بالتذكير بيوم القيامة وما بعده؟ ألم تتفكر لماذا هذه الأسماء الكثيرة ليوم القيامة (الغاشية، الطامة، الصاخة، القارعة، الحاقة،...) ؟!، وقد عدَّها العلاّمتان الغزالي والقرطبي فبلغت خمسين اسماً.

تطبيق تربوي

من أراد أن يربي نفسه على تذكر يوم القيامة والرجاء فيه والخوف منه فما عليه إلا أن يحرك قلبه بقوارع القرآن من أمثال سورة: إبراهيم، والرعد، والجاثية، وقاف، والطور، والقمر، والواقعة، والحديد، والتغابن، والحاقة، والمعارج، وغيرها كثير.

يقرؤها قراءة قلب وإن كرر الآية الواحدة مائة مرة، فعند أحمد والنسائي والحاكم وصححه وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه ابن القيم والعراقي من حديث أبي ذر ط: أنه ﷺ قام بآية يرددها حتى الصباح وهي قوله تعالى ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (المائدة: ١١٨).

المفتاح الخامس: إخلاص العبادة مع تمام التذلل لله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾:

وقد جاء شرح حقيقة العبادة ولزوم التذلل والاستعانة بالله وحده في آيات كثيرة من القرآن منها: قوله تعالى ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ (الإخلاص: ٢)، أي الذي يُصمد إليه، وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (الكوثر:٣)، وقوله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣)، وهذه هي حقيقة دعوة الأنبياء عليهم السلام جميعاً كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وفي الاستعانة يقول تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الأنعام: ١٧، وغيرها كثير.

وعند الترمذي في حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما المشهور، قال ﷺ: (احْفَظ اللَّه يَحْفَظْكَ، احْفَظ اللَّه تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّه، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّه، وَاعْلَمْ أَنَّ الأمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّه عَلَيْكَ).

فإياك نعبد تدفع الرياء، وإياك نستعين تدفع الكبرياء.

والعبد في هذا الموطن يحتاج أن يكثر دوماً من ترداد «لاحول ولا قوة إلا بالله»، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يا عبد الله بن قيس! ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ فقلت: بلى يا رسول الله! قال: (قل: لا حول ولا قوة إلا بالله) متفق عليه.

قال ابن القيم رحمه الله معلقاً: لما كان الكنز هو المال النفيس المجتمع الذي يخفى على أكثر الناس، وكان هذا شأن هذه الكلمة، كانت كنزاً من كنوز الجنة، فأوتيها النبي ﷺ من كنز تحت العرش.

تطبيق تربوي

هل تعوذ نفسك وأبناءك في بيتك كما كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ب، وكما كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق إ، وتعوذ كل عزيز ونفيس عندك بأعظم متعوذ به وهما الفلق والناس.

تطبيق تربوي

هذه كلمة عن «لا حول ولا قوة إلا بالله» تُنقش داخل نياط القلب لشيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «هذه الكلمة بها تُحمل الأثقال، وتُكابد الأهوال، ويُنال رفيع الأحوال» أ.هـ

فاجعل لك في يومك وليلتك ورداً لا تنقصه منها، فالطريق طويل والمُعين قليل.

وقد لقيت بعض الموفقين ممن أقعدهم المرض سنين طويلة ووجدت له أعمالاً جليلة في العلم والدعوة والبر والإحسان وفي كل باب من أبواب الخير؛ فلما سبرت حاله واستنطقته إذ هو من أصحاب «لاحول ولا قوة إلا بالله» يكررها في اليوم والليلة مرات كثيرة، فأعانه الله في أمور دينه ودنياه على ما يعجز عنه خلق من الناس كثير ولو اجتمعوا له.

المفتاح السادس: الإلحاح في الدعاء

فكم نكرر الدعاء بقولنا ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾، والدعاء لُبّ العبادة كما قال النبيّ ﷺ: (الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ ! ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (غافر: ٦٠). رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وسورة الفاتحة نصفها دعاء ولذا كان من أسمائها «الدعاء» كما سبق، ودعاء المسلم ربه لا يخلو من ثلاثة أحوال جاء ذكرها فيما ثبت عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال:

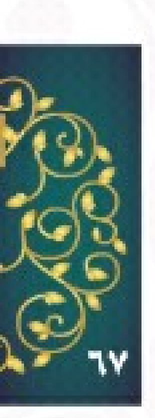
- إما أن يعجل له دعوته،
- وإما أن يدخرها له في الأخرى،
- وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها،

قالوا: (إذن نكثر، قال: الله أكثر) رواه أحمد والترمذي وهو حديث صحيح.

- وعلمتنا جوامع الدعاء: فالخير كله في كلمة واحدة ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾.
- وعلمتنا أيضاً التفصيل وتكرار المعاني بألفاظ مختلفة عند الدعاء في المهمات والأمور العظام، ففي الثناء جاء حمد الرب على ربوبيته وألوهيته ورحمته وملكه، ولم تكتف السورة بواحد منها.

وفي دعاء المسألة جاء تكرار المعاني بذكر ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ مع أن الثاني بدلٌ من الأول، لكنه من باب التوكيد والتفصيل الذي يُستحب في مثل هذه المواطن.

وكان من دعائه المفصل ﷺ ما ثبت في الصحيحين (اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِى قَلْبِى نُورًا وَفِى بَصَرِى نُورًا وَفِى سَمْعِى نُورًا وَعَنْ يَمِينِى نُورًا وَعَنْ يَسَارِى نُورًا وَفَوْقِى نُورًا وَتَحْتِى نُورًا وَأَمَامِى نُورًا وَخَلْفِى نُورًا وَعَظِّمْ لِى نُورًا ». وفي رواية: « وفي عَصَبِى وَلَحْمِى وَدَمِى وَشَعْرِى وَبَشَرِى).



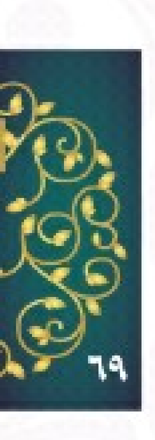
المفتاح السابع: الحب والبغض في الله ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾:

فهذه أوثق عرى الإيمان، ومن كان يدعو ربه في كل ركعة وقلبه حاضر أن يُلحقه بالمنعم عليهم؛ فهذا لن يكون إلا بمحبته التامة لهم، والمحبة لها في ديننا شأن عجب، ومن أعظم التوفيق أن يرزق المسلم محبة الصالحين وإن لم يعمل بعملهم؛ ففي الصحيحين: (جاء رجلٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ فَقَالَ ﷺ: المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ! قَالَ أَنَس رضي الله عنه: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِه ﷺ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ!) . قَالَ أَنَس رضي الله عنه: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ. وكلنا نرجو ما رجاه أنس رضي الله عنه.

ـــ وأما الولاء والبراء ففصلتُ الكلام عليه في رسالة «كيف نقرأ سُورة التوبة»؟



تطبيقات عملية



○ فائدة: سورة الفاتحة هي سورة تخلية وتحلية، ولابد للمؤمن منهما معا:

١. فالاستعاذة: تخلية للعبد من الشيطان؛ وتحليةٌ له بانصرافه لربه الرحمن.

٢. والبسملة: تخلية للإنسان من الاعتماد على ذاته؛ للاعتماد على ربه الرحيم به.

٣. والحمد لله: تخلية من كفر النعمة بنسيانها؛ لتحلية الحياة بحمدها وشكرها.

٤. والرحمن الرحيم: تخلية من قنوط الآيسين؛ ليتذكروا رحمة الرحمن الرحيم.

٥. وإياك نعبد: تخلية من الشرك والتخليط؛ لإخلاص التوحيد لرب العبيد.

٦. وإياك نستعين: تخلية من تشتت الهمم؛ إلى الاستعانة بالمنعم المنتقم.

٧. والصراط المستقيم: تخلية من طرق الاعوجاج؛ إلى طريق الاعتدال.

٨. وأنعمت عليهم: تخلية من صُحبةِ الظالمين والضالين وأشباههم؛ إلى صحبة من تمّمَ الله عليهم من النبيين والمرسلين وأتباعهم.

٩. وغير المغضوب عليهم: تخلية من الاستكبار والعناد إلى الخضوع والانقياد.

١٠. ولا الضالين: تخلية من الجهل والابتداع إلى العلم والاتباع.



سورة الفاتحة
سورة تخلية وتحلية

الاستعاذة

تخلية للعبد من الشيطان
لتحليته بالإنصراف إلى الرحمن

البسملة

تخلية من الاعتماد على ذاته
لتحليته بالاعتماد على ربه

الحمد لله

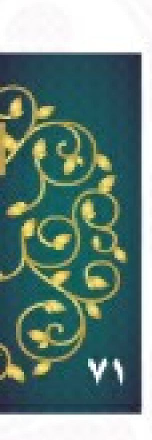
تخلية من كفر النعمة بنسيانها
لتحليته حياته بحمدها وشكرها

إياك نعبد

تخلية من الشرك والتخليط
لإخلاص التوحيد لرب العبيد

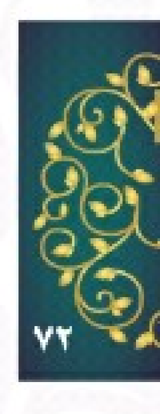
إياك نستعين

تخلية من تشتت المقاصد والهمم
إلى توحيد الوجهة للواحد المنعم





تطبيقات عملية



○ لطائف بلاغية مع لفتات تربوية:

سورة الفاتحة مليئة باللطائف البلاغية فانتقينا منها أوضحها وأقلها تكلفاً، مما يناسب موضوع كتابنا هذا ومما يفيد علماً نافعاً أو تربية صالحة.

• ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: (ال) جنسية استغراقية تفيد العموم المطلق وتشمل كل أنواع الحمد بل استثناء، وينبغي استحضار ذلك حال قراءتها [١].

• ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تعريف طرفي الجملة يفيد الحصر، والجملة اسمية فتفيد الاستمرار.

• جاءت ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مطلقة عن الزمان وعن المكان فأفادت عموم ذلك كله فالحمد ثابت مستحق لله في كل زمان وفي كل مكان.

• الانتقال في الأسلوب من الغيبة إلى الخطاب في قوله ﴿وَإِيَّاكَ﴾ وهي للمخاطب، بينما ما قبلها كان خطاب غيبة، وهذا الانتقال يسمى بالالتفاف، وفائدته:

١. حمل المخاطَب على الانتباه.

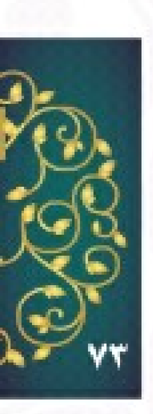
٢. حمله على التفكير في المعنى، فكأن العبد لما أثنى على الله تقرب منه فصار من أهل الحضور فناداه نداء المخاطب ﴿وَإِيَّاكَ﴾ ولم يناده بـ (إياه).

• جاء الصراط معرفاً بتعريفين هما أل و والإضافة، وذلك يفيد تعيينه ووضوحه واختصاصه وأنه صراط واحد، فالطريق الموصلة إلى الله واحدة وهي ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، لا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق.

• تعدية الفعل ﴿ ٱهْدِنَا﴾ بنفسه دون حرف الجر (إلى) أو (اللام)، فإذا عُدّي فعل الهداية بـ (إلى) تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، و إذا عُدّي بـ (اللام) تضمن التخصيص بالشيء المطلوب، فإذا تعدّى بنفسه تضمن المعنى الجامع لذلك كله وهو التعريف والبيان والإلهام والإيصال.

---

(١) وأيضاً اللاّم التي في لفظ الجلالة (لله) هي لام الاستحقاق وهي التي تقع بين معنى وذات، وتفيد الاختصاص، فدلّت على أنّ جميع المحامد على وجه الكمال مختصة به تعالى إذ هو مستحق لها، ويكون الحمد لغيره تبعاً لحمده سبحانه، فإذا حمدت إنساناً على علمه أو حلمه أو كرمه أو قوته فاستحضر حمد المتفضل بها أولاً.



• تكرير الضمير وهو الكاف (ك) في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لإبراز التلذذ بالمناجاة والخطاب ولذا كرر إياك إياك، ليتعود المتربي على كثرة ذكر المحبوب، وفي الصحيحين (فمن كانت هجرته إلى الله؛ ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله).

• ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: مطلقة بدون تحديد بنعمة معينة لتشمل كل إنعام ولا تقيد بإنعام دون إنعام، والقاعدة التفسيرية تقول: (حذف المعمول يقتضي العموم).

○ معاني أسماء الله في السورة وأثرها الإيماني في حياة المسلم:

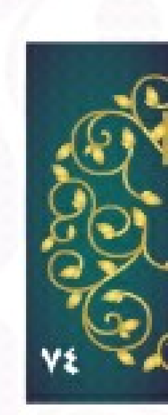
• قوله سبحانه ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: عناصر التربية أربعة (المربي، والمتربي، والمنهج، والهدف) فجاء التنبيه بذكر اسم الرحمن بعد اسم الرب؛ أن المربي قد يربي ويحقق بعضا من أهداف التربية لكن يكون خشنًا جبارًا، وذلك مما يخدش من جميل التربية، لذا قرن كونه مربيًا بكونه الرحمن الرحيم؛ لينفي بذلك هذا الاحتمال، وليحرضهم على حمده وعبادته بقلوب مطمئنة، ونفوس مبتهجة، ودعوة لهم إلى أن يقيموا حياتهم على الرحمة والإحسان، لا على الجبروت والطغيان، فالراحمون يرحمهم الرحمن.

تطبيق تربوي

كل من تربي لهم رحمة عامة لابد من حصولهم عليها، وهذا مأخوذ من اسم الله (الرحمن).

ومن أجاب داعي الله وسعى إليه ركضاً؛ فلهم رحمة خاصة، وهذا مأخوذ من اسم الله (الرحيم).

ومع كل ذلك وحتى تنجح تربيتنا؛ لابد من المحاسبة والجزاء (مالك يوم يوم الدين)



• وقوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فيه إشارة لصور رحمة الله تعالى التي أبان عنها في سورة الفاتحة، ومنها:

١. أنه علمنا كيف نحمده ونثني عليه.

٢. أنه اختار لنا وكرر من بين أسمائه الحسنى اسمي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

٣. ومن رحمته سبحانه وتعالى أنه دلنا على أعظم دعاء، وهو طلب التوفيق إلى الدين الحق وإلى طريق المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين.

ومن رحمته أنه سبحانه دلنا على الطريق الموصلة إليه وهي عبادته ﴿نَعۡبُدُ﴾، ودلنا على الوسيلة المعينة لنا في عبادتنا له فقال ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فلا سبيل إلى عبادته إلا بمعونته.

• وقوله تعالى ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: فيه الجبروت والرحمة معاً، لأن من آمن أن هناك يومًا يظهر فيه إحسان المحسن، وإساءة المسيء، وأن زمام الحكم والملك في ذلك اليوم لله الواحد القهار، فإنه سيقوى عنده خُلق المراقبة لهذا الملك الديان سبحانه، ويجتهد في السير على طريقه المستقيم.

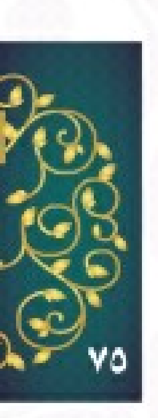
• وقوله تعالى ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ و﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: فمن كان هو الرب الخالق والمنعم وهو المالك الملك سبحانه فالواجب ألا يتبع إلا أمره وألا يحكم إلا بشرعه؛ لأن من كان هذا ملكه وخلقه فهو الذي يأمر وينهى ويثيب ويعاقب فيه، وهو أعلم بخلقه و أعلم بما يصلحهم في دينهم ودنياهم.

والرب: هو المربي الخالق الرازق، وتربيته لخلقه نوعان:

عامة: وهي بالنعم المادية من الطعام والشراب والصحة ونحوها، ونتيجتها بقاؤهم وتمتعهم بها في الدنيا.

وخاصة: وهي تربيته لأوليائه؛ فيربيهم بالإيمان ويوفقهم له ويدفع عنهم الصوارف والعوائق بينهم وبينه، وقد يربيهم بالمصائب من مرض وفقر ونحوها، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير والعصمة من كل شر يصيبه في دينه.

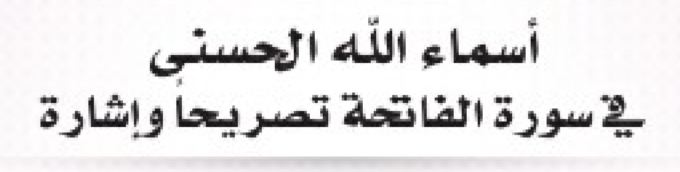
• وهذا هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فمطالبهم داخلة تحت الربوبية الخاصة.



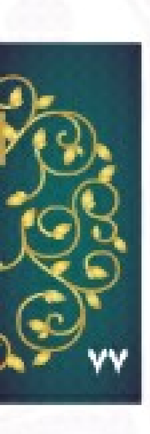


تطبيقات عملية




أسماء اللّه الحسنى
في سورة الفاتحة تصريحا وإشارة


اللّه
الرحمن
الرحيم
الرب
المالك
المعبود
المعين
الهادي
المنعم



سادساً: الدعوة على منهاج سورة الفاتحة:

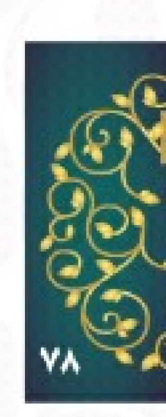
(١) لتكن دعوتك إلى توحيد الله هي أصل دعوتك ورحاها وقطبها الذي تدور حوله، فيبذل لها الغالي والنفيس من وقته وجهده، فما خلق الله الجن والإنس ولا أرسل الرسل وأنزل الكتاب إلا لهذه الغاية العليا؛ فأولها إقرار بربوبيته وأوسطها إقرار بألوهيته وآخرها إقرار بأنه المسؤول وحده سبحانه.

تطبيق تربوي

إذا أردت أن تُعلِّم التوحيد دون منازعة ومناكفة وبلبلة: فعلمه من خلال سورة الفاتحة وما يشرحها من آيات وسور القرآن الكريم كسورة الإخلاص والكافرون والأعلى ونحوها، فكل ما تريد تقريره من التوحيد موجود فيها؛ فلا حاجة لاستعجال الصدام مع أرباب التصوف والعقائد البدعية في بلدانهم بشرح متون تثير عندهم العداء والممانعة ليس لشيء إلا لما رسخ في نفوسهم من دعاة الضلال من النفور من أسماء ومسميات لا يفقهون حقيقة ما يدعون إليه، وما في هذه المتون من الحق هو في القرآن بأجلى صورة وأتم معنى، فلو علمتهم معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفهموها وآمنوا بها وبمقتضاها؛ لكان ذلك كافياً في نجاتهم من النار ودخلوهم الجنة.

(٢) غرس الإيمان في نفوس الناس من خلال ربطهم باليوم الآخر؛ فإذا آمن المدعو بأنّ هناك يوم يظهر فيه إحسان المحسن و إساءة المسيء، وأنّ زمام الحكم في ذلك اليوم لله الواحد القهار، قَوي عنده خلق المراقبة لخالقه واجتهد في الاستقامة على شريعته.

فاستعمال أسلوب الترغيب والترهيب يرغّب المدعو بالجنة ونعيمها وبمصاحبة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فينشط للعمل بالطاعات، ويرهّب من سبيل الغضب والضلال الموصل إلى نار جهنم فيجتنب المحرمات.



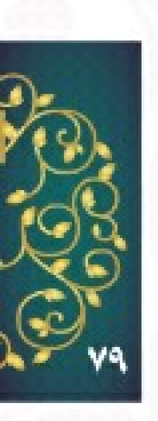
(٣) إعلاء منهج المنعَم عليهم، وإشهاره ونصرته، والدعوة لاتباع رجاله، والثناء والترجمة لأعلامه،، كي يكونوا قدوةً و أسوة للسالكين على مر العصور.

والتحذير من منهج من خالفهم وذكرهم بأوصافهم وأنواعهم والتشهير بأئمة الضلال منهم، وحث المسلمين على إكثار الدعاء للسلامة من منهجهم.

(٤) أن يكون الداعية قانتاً لله: كثير الذكر والصلاة والصيام والصدقة لربه؛ فالداعية الذي تمر ساعات يومه وأيام أسبوعه من غير صلاة قانتة وأذكار متوالية وتلاوة محزبة وبكاء خاشع وصيام متتابع؛ فليس على صراط الذين أنعم الله عليهم.

(٥) تفويض الأمر كله لله، وأن الداعية ليس منه شيء ولابقدرته شيء، وأن تأثيره وأثره وشهرته وثناء الناس عليه ليست من ثمرة علمه وصدقه ولا ذكائه وفصاحته ولاقيادته وجاذبيته، بل ذلك كله من الله وبالله وإلى الله، فمن لم يَكِل ذلك كله لله ويستعين عليه كله بالله؛ فليس عبداً لله وإن عبّد الناس لله، فهم إن أطاعوه فإلى الجنة، أما هو فأول من تسعر بهم النار يوم القيامة، ففي صحيح مسلم عن النبي ﷺ: (... فأول من يدعو به رجل جمع القرآن و رجل قُتل في سبيل الله ورجل كثير المال. فيقول للقارىء: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال: بلى يا رب قال: فماذا عملت فيما علمت ؟ قال: كنت أقوم به أثناء الليل و آناء النهار فيقول الله له: كذبت و تقول الملائكة لإ: كذبت و يقول الله: بل أردت أن يقال: فلان قارىء فقد قيل...).

(٦) تنويع أساليب الخطاب في الدعوة، فهذا له أثر في تنشيط المدعوين ودفع الملل عنهم، وتحريك أذهانهم لما يُلقي إليهم، وقد سبق بيان لكثير من ألوان التنويع الواردة في سورة الفاتحة.



تطبيقات عملية

سابعاً: مسائل فقهية في سورة الفاتحة:

○ أحكام الاستعاذة:

أجمع العلماء أن الاستعاذة ليست آية من الفاتحة وأنها ليست لها صيغة واحدة يجب التزامها[1].

. وذهب جماهير الفقهاء إلى أنها تستحب قراءتها في الركعة الأولى قبل الفاتحة، ولا يكررها في كل ركعة.

وهو قول أحمد وابن حزم، ورجحه الزيلعي وابن القيم وابن حجر والشوكاني.

والدليل على ذلك: ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا نهض من الركعة الثانية استفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين ولم يسكت). وهذا يدل على أنه لم يكن يستفتح ولا يستعيذ.

ولأن الصلاة جملة واحدة فالقراءة فيها كلها كالقراءة الواحدة.

○ أحكام البسملة:

الأظهر . والعلم عند الله . أنها ليست آيةً من الفاتحة، كما هو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد، وقد مرّ في الحديث السابق في الصَّحيح « يَقُولُ اللَّه تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، نِصْفُهَا لِي، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي،

---

(١) صيغ التعوذ الواردة ثلاث:

= الصيغة الأولى: ما ورد في قوله تعالى «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» النحل٩٨، وهذه الصيغة اختيار أبي حنيفة والشافعي وجماعة من القراء كعاصم وابن كثير ودليلهم آية النحل.

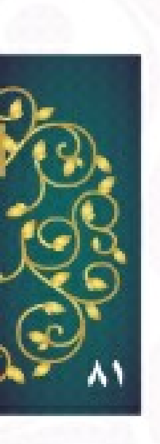
= الصيغة الثانية: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

وهو مروي عن الإمام أحمد، وهي قراءة حفص من طريق هبيرة. لقوله تعالى (فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) (فصلت: من الآية٣٦).

= الصيغة الثالثة: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»

وقد روى الإمام أحمد وبعض أهل السنن: أن النبي ﷺ كان يستعيذ في صلاته «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه» وهو معلول، قال عبد الله بن أحمد: لم يحمد أبي إسناده، وأشار ابو داود إلى تعليله.

والأمر في هذا واسع، وقد اتفق الفقهاء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بواجبة وحكى الطبري الإجماع على ذلك لكن خالف ابن حزم فأوجبها وهو قول شاذ.



وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي.. ! فَهَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ صَرِيحٌ فِي أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْفَاتِحَةِ، فإن المقصود بالصلاة هنا سورة الفاتحة، وقد قسمت قسمين ليس فيها ذكرٌ للبسملة.

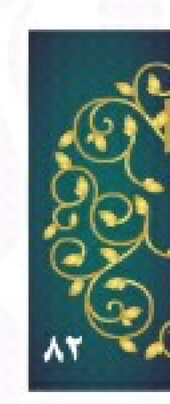
وتكون الفاتحة على هذا سبع آيات بأن يكون قوله تعالى ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هي الآية السادسة ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ هي الآية السابعة كما تقدم.

ـــ وهل يجهر بها في الصلاة ؟ من الصحابة من جهر بها ومنهم من لم يجهر، وذهب الخلفاء الأربعة وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد: أنه لا يجهر، وهو الأظهر؛ لأنه لم يثبت حديث واحد مرفوع إلى النبي ﷺ أنه جهر بها، ولو كان يجهر بها في كل صلاة لنُقل ذلك نقلاً مستفيضاً، ولو جهر بها الإمام أحياناً للتعليم فلا بأس كفعل عدد من الصحابة ن، والعلم عند الله.

○ قراءة الفاتحة في الصلاة:

الفاتحة ركن في الصلاة في حق الإمام والمنفرد لحديث « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» أخرجه الجماعة.

أما في حق المأمو م فتجب في الصلاة السرية، وأما في الصلاة الجهرية فالراجح أن المأموم لا يقرؤها حال قراءة الإمام وتكفي قراءة الإمام عنه، وهو أعدل الأقوال في القراءة خلف الإمام أن المأموم إذا سمع قراءة الإمام يستمع لها وينصت لا يقرأ بالفاتحة ولا غيرها. وإذا لم يسمع قراءته بها يقرأ الفاتحة وما زاد، وهذا قول جمهور السلف والخلف وهو مذهب مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل وجمهور أصحابه وهو أحد قولي الشافعي واختاره طائفة من محققي أصحابه وهو قول محمد بن الحسن وغيره من أصحاب أبي حنيفة، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ الأعراف: ٢٠٤ وقد أجمع الناس على أنها نزلت في الصلاة كما حكاه أحمد وغيره من الأئمة، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «وإذا قرأ فأنصتوا» رواه الخمسة إلا الترمذي، والأدلة كثيرة جداً ليس هذا موضع ذكرها.



○ أحكام التأمين:

يجهر الإمام بالتأمين لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه الجماعة. أما المأموم فهو بالخيار بين الإسرار والجهر ولا بأس أن يفعل هذا تارة وهذا تارة.

• قراءة الفاتحة في الصلاة بغير اللغة العربية:

أجمع الفقهاء أنه لا تجزئ قراءة القرآن بغير العربية لقوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ يوسف: ٢، وقوله سبحانه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ الشعراء: ١٩٥، ولأن القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه، وقال بعض العلماء كالقرطبي يذكر الله ويكبره ويسبحه ويحمده إذا عجز عن قراءة القرآن.

○ مخالفات تتعلق بسورة الفاتحة:

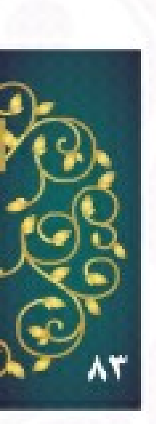
• قول بعض القراء في التعوذ «أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد» فهذه صيغة محدثة.

• قراءتها على الأموات أو التزام قراءتها في عقد الزواج بدل خطبة الحاجة أو بعد الانتهاء من قراءة القرآن أو بعد أذكار الصلاة أو بعد الدعاء.

• يخطئ بعض العامة فيلحنون لحناً جلياً في بعض حروف الفاتحة: فيقرأ بعضهم مثلا ﴿إِيَّاكَ﴾ بدون تشديد الياء ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بالزاي بدل الذال أو ﴿ٱهْدِنَا﴾ بفتح الهمزة فيقول (أهدنا)، ويقرأ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ بالظاد (الظالين) أو (المغظوب)، أو يفتح النون الأخيرة حين الوصل في ﴿نَسْتَعِينُ﴾، أو يقرأ (نستاعين) ونحو ذلك، أو يقرأ بضم التاء في ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وهذا كله لا يجوز إلا لعاجز، وليس المقصود هنا إتقان مخرج هذه الحروف، ولكن نطقها صحيحاً بحيث تتميز عمّا يشبهها فقط.

• ذهب جمهور أهل العلم من الحنفية والمالكية والحنابلة إلى عدم مشروعية السكوت الطويل للإمام بعد قراءة الفاتحة لأجل أن يقرأها المأموم لأن هذا لم ينقل عن النبي ﷺ من أحد من الصحابة ن بالرغم مما تتوفر الدواعي على نقله: فلما لم ينقل هذا أحد من الصحابة عُلم أنه لم يكن.

والمسألة خلافية وليست من مسائل القطع.



تطبيقات عملية

تمت بحمد الله،،



المحتويات

